تسهيل فهم

شرح الطحاوية

ألف سؤال وجواب في شرح العقيدة الطحاوية

لابن أبي العز الحنفي

تأليف

خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين الغامدي



الطّبعَة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

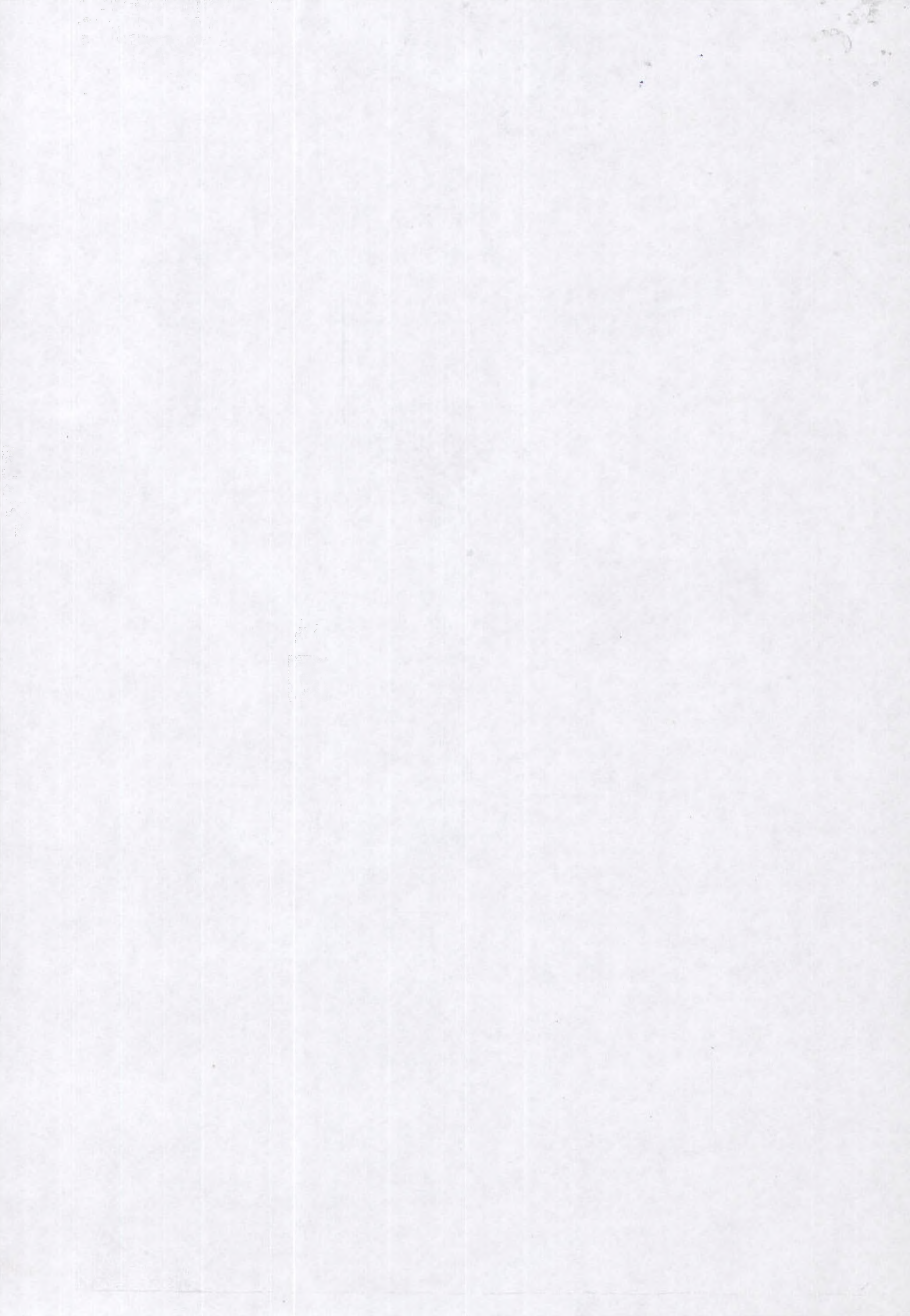


الرئيسي : جدّة - ميدان الجامعة - ص.ب: ٤٠٨٤٥ - جدّة ٢١٥١١ { الادارة ٦٨٩١٤١٧ / المكتبة ٦٨٩٤٤٦١ / الفاكس ٦٨٩٤١٤٤

الفروع : الخبر - شارع الأمير نايف - تقاطع ١٦ - ص.ب: ٢٣٢١ - الخبر ٣١٩٥٢ { المكتبة ٨٩٤١١٣٦ / الفاكس ٨٦٤٣٧٣٥

المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب: ٢٠٢٤٢ { المكتبة ٨٢٣٦٣٠٦ / الفاكس ٨٢٣٦٢٧٩





التمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد، فهذا عمل متواضع، وإسهام بسيط، في **تسهيل فهم شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي** يرحمه الله. وقد عني الباحثون بهذا الشرح المفيد، كون شارحه سلفي المعتقد، آخذاً بالأثر، ملتزماً بالمنهج السلفي الوسطي، وقد شرح المتن الذي كتبه الإمام محمد بن سلمة الأزدي الطحاوي، على معتقد أهل السنة والجماعة، رحمهم الله تعالى.

فطبع هذا الشرح، وحقق مرات عدة، واختصر شرحه، ورُتّب على أركان الإيمان، كما رتب في نقاط ـ من بعضهم ـ ولم يراعَ في ذلك ترتيب الشارح الذي سار عليه، وكل هذا من فعل الخير والبر، في سبيل إيصال الفهم الصحيح لهذه العقيدة السلفية التي سار عليها أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يومنا هذا، وكل له اجتهاده في الترتيب والتنظيم الذي لا يخل بأصل الكتاب، ولا يخل بما فيه من تأصيل شرعي لمعتقد أهل السنة والجماعة، ولذا كان هذا العمل المتواضع إسهاماً في هذا الباب، راجياً أن أوفق فيه، وأن يفي بالغرض الذي وضع من أجله.

وقد نهجت في هذا الكتاب النهج الآتي:

١ ـ طريقة السؤال والجواب، بشكل مباشر، لأنها في رأيي طريقة

ناجحة تسهل وصول المعلومة بوضوح تام لذهن طالب العلم، وتزيل عنه التشتت الذي يواجهه البعض، نظراً لطول الشرح، وكثرة الاستطرادات من شارحه رحمه الله، وتداخل مباحثه العقدية في بعضها، وتقدم بعضها على بعض، في غير مواضعها، وتأخر بعضها، وكأن الأولى تقديمه في موضعه.

٢ ـ أما الحكم على الأحاديث، فلم أوضح منها إلا ما كان إسناده ضعيفاً، فأشير إليه إشارة عابرة في الهامش أو المتن، لأن هذا قد خدم من غيري، فآثرت أن لا أطيل به حجم هذا التسهيل.

٣ ـ وأما المصطلحات الكلامية التي وردت في كلام الشارح، كالجوهر والعرض، والماهية. . إلخ، فقد بذلت وسعي في التعريف بها تعريفاً مختصراً في الهامش.

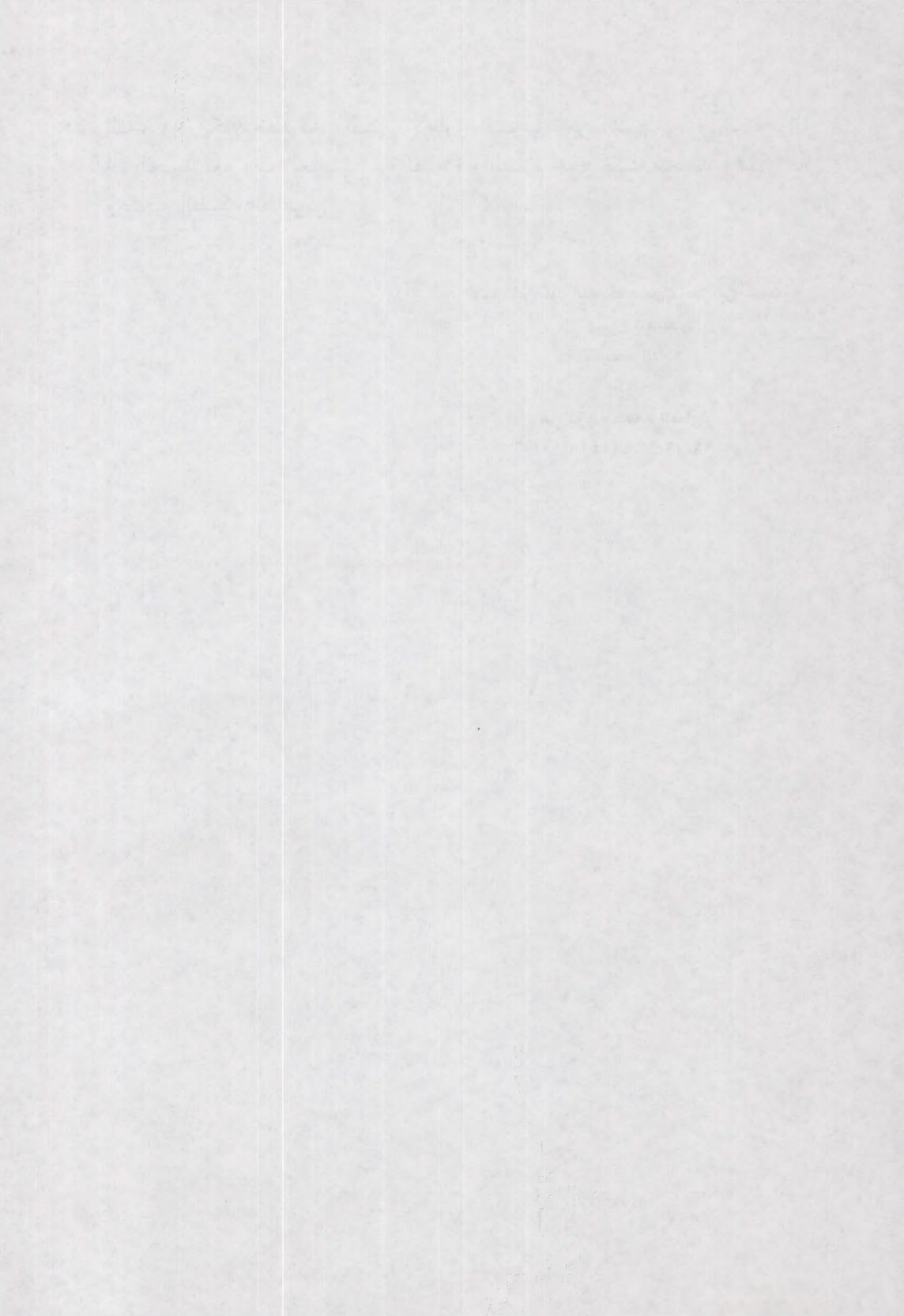
٤ ـ وقد سلكت طريقة النقاط في تبيان كلام الشارح، فجعلت كلامه في نقاط مرقّمة ليُسهل استحضارها قدر المستطاع، كما اجتهدت في جعل هذا الكتاب في فصول جامعة لأهم مسائل العقيدة.

٥ ـ مما يميز هذا التسهيل أنه على أبواب وفصول الطحاوية ذاتها، لم يتغير فيها شيء من الترتيب، ليسهل استذكاره على طريقة المتن وشرحه التي وضعها الإمام الطحاوي، ومن بعده ابن أبي العز في شرحه، رحمهم الله.

وأولاً وآخراً أشكر الله الذي منَّ علي بتأليف هذا التسهيل ـ وهو جهد متواضع ـ أقدمه بين يدي طلبة العلم عسى أن ينفع الله به، كما أشكر والدي الكريم الشيخ ناصر بن سعيد الغامدي، الذي شجعني في طلب العلم الشرعي وبذل لي ما يستطيع في هذا السبيل، كما شجعني في تأليف هذا الكتاب بعد عرضه عليه، فجزاه الله خير الجزاء، كما أشكر أخي وشقيقي الأكبر الشيخ سعيد بن ناصر الغامدي، الذي أفادني بتوجيهاته العلمية القيمة، في حياتي العلمية، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعانني فيه بأي نوع من الإعانه. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وإن يكن صواباً فمن

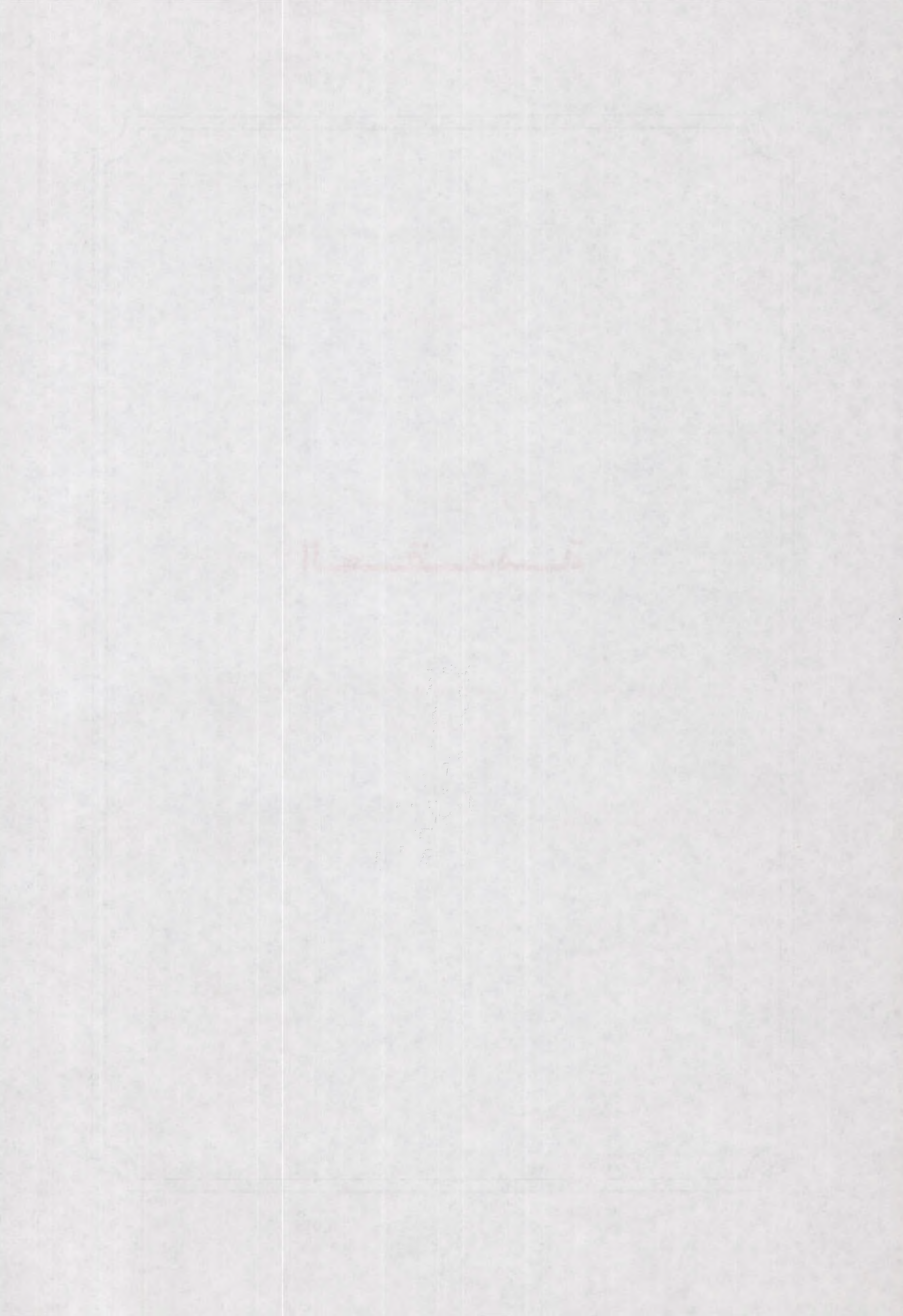
الله، وإن يكن خطأً فمن نفسي الأمارة بالسوء، ومن الشيطان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

كتبه: أبو عبد الله خالد بن ناصر بن سعيد
آل حسين الغامدي
سامحه الله
أبها
في يوم الجمعة المبارك
١٦/١٠/١٤١٨هـ ١٣/٢/١٩٩٨ م



الفصل الأول

المقدمة



المقدمة

س ١: من هو مؤلف كتاب الطحاوية؟ ومتى ولد، ومتى كانت وفاته؟.

ج: مؤلف كتاب العقيدة الطحاوية؛ هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن جعفر بن سلامة الأزدي الطحاوي، ولد سنة **٢٣١**هـ وتوفي سنة **٣٢١**هـ.

س ٢: على من يجب الإيمان المجمل؟ وهل يجب على كل أحد معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل؟.

ج: يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، من تدبر للقرآن، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ومجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

ويجب على من سمع النصوص وفهمها، من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك.

س ٣: ما سبب الضلال في باب العقائد والعجز عن معرفة الحق؟.

ج: ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب، أو عجز فيه عن

معرفة الحق؛ فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾.

س ٤: المؤمنون بحاجة إلى إيضاح الأدلة الشرعية ودفع الشبه الواردة، وضح ذلك؟.

ج: لأنه كلما بعد العهد ظهرت البدع، وكثر التحريف الذي سماه أهله تأويلاً؛ ليُقبل، وقلَّ من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد سُمّي صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً، وإن لم يكن ثمة قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد، فإذا سماه تأويلاً، قُبل وراج على من لا يهتدي إلى الفرق بينهما.

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة، ودفع الشبه الواردة عليها.

س ٥: ما سبب دروس وذهاب كثير من علم الرسالة؟.

ج: ١ ـ سببه جهل وضلال وتفريط كثير من المتكلمة والمتفلسفة الذين يقولون: إنما نريد التوفيق بين العقليات ـ وهي في الحقيقة جهليات ـ والنقليات عن الرسول ﷺ، أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة.

٢ ـ وكما يقوله كثير من المبتدعة من المتنسكة والمتصوفة: إنما نريد الإحسان والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدعونه من الباطل الذي يسمونه: حقائق وهي جهل وضلال.

٣ ـ عدوان وجهل ونفاق كثير من المتملكة والمتأمرة، الذين يقولون: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة.

س٦: هل لك أن تعطينا بعض النقول عن بعض أئمة السلف في ذم علم الكلام؟.

ج: نعم ومن ذلك:

* قول أبي يوسف لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام، قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة.

* وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام؛ تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء؛ أفلس، ومن طلب غريب الحديث؛ كُذب.

* وقال الإمام الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

* وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

س٧: قيل: "إن طريقة السلف أسلم، وإن طريقتنا أحكم وأعلم" فما جوابك؟.

ج: هذا القول قاله ضُلال المتكلمين وجهلتهم، كما يقوله من لم يقدرهم قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: "إن المتأخرين أفقه منهم، لأنهم لم يتفرغوا لاستنباطه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالاً منهم بغيره، فهم أفقه!!".

وكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف، التي كانت همة القوم (السلف) مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن آخر.

س ٨: لماذا كره السلف التكلم بالجوهر[1] والجسم[2] والعَرَضِ[3]؟.

ج: كره السلف التكلم بها لاشتمالها على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنة.

ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين فضلاً عن علمائهم.

س ٩: من هو شارح متن العقيدة الطحاوية، ولماذا شرحها؟.

ج: شرح هذه العقيدة غير واحد من العلماء، ولكن الشارح رأى بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم وتكلم بعباراتهم.

ولذا شرحها الإمام القاضي، علي بن محمد بن أبي العزّ الدمشقي، الذي يقول:

"وقد أحببت أن أشرحها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم، متطفلاً عليهم، لعلي أن أُنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم، وأُحشر في زمرتهم.. ".

☆ ☆ ☆

---

(١) الجوهر: هو الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام، وهو لفظ محدث مبتدع لا أصل له في الشرع، قالت به الفلاسفة والمعتزلة، ومرادهم بذلك نفي صفات الرب تعالى.

(٢) الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: الجسم هو المركب من الجواهر. (التعريفات للجرجاني، ص٤١)

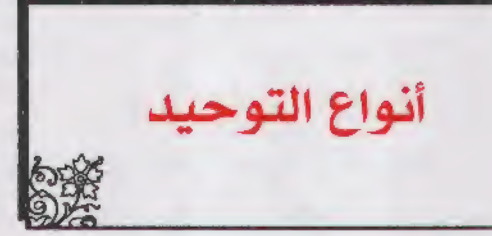
(٣) العَرَض: هو ما يقابل الجوهر، ويطلق أيضاً على الكلي المحمول على الشئ الخارج عنه، ويسمى عرضاً، ويقابله الذاتي. أو هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده.

أو هو الموجود الذي يحتاج في بقائه إلى موضع ـ أي محل ـ يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحمله ويقوم به.

الفصل الثاني

أنواع التوحيد





أنواع التوحيد

س ١٠: ما هي أول دعوة الرسل؟.

ج: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ. وجميع الرسل دعوا أقوامهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده.

س ١١: ما أول واجب على المكلف؟ ومن الذي خالف أهل السنة في ذلك؟.

ج: أول واجب على المكلف؛ شهادة أن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

وخالف في ذلك أرباب الكلام المذموم فقالوا: أول واجب النظر، وقال آخرون: بل القصد إلى النظر، وغلا آخرون فقالوا: بل الشك أول واجب.

وأئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد؛ الشهادتان، فالتوحيد أول ما يُدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

س ١٢: ما حكم من صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلماً أم لا؟.

ج: قال الشارح: الصحيح أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام.

س ١٣: ما أنواع التوحيد؟.

ج: توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أن الله تعالى خالق كل شيء ومدبر كل شيء.

توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد أن الله واحد في أسمائه وصفاته.

توحيد الإلهية: وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وعبادته وحده لا شريك له.

س ١٤: اذكر ما يضاد أنواع التوحيد الآنفة الذكر؟.

ج: توحيد الربوبية: يضاده أن يعتقد أن لهذا العالم خالقان متكافآن في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لاريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية. وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به. وممن وقع في الشرك بالربوبية: المجوس الذين زعموا أن للشر خالقاً غير الله، ومنهم فرعون الذي زعم أنه الله وأنكر الإله الحق.

توحيد الأسماء والصفات: يضاده نفي هذه الصفات، أو وصف الخلق ببعض صفات الله تعالى؛ ونفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد.

توحيد الألوهية: ويضاده، عبادة غير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبودية لغيره تعالى؛ كالدعاء، والخوف، والرجاء، والنذر، والذبح والاستغاثة... إلخ.

س ١٥: ما شبهة المعتزلة وجهم بن صفوان في إنكار الصفات؟ وماذا جنى هؤلاء بهذا القول؟.

ج: شبهتهم في نفي الصفات، أنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب (الخالق)، وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصوّر لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل.

وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول[1] ....

---

(١) الحلول: لفظ حادث فاسد المعنى والمغزى، وزعم الحلوليون أن الله حل في شئ من مخلوقاته، والحلول عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين=

والاتحاد[1] وهو أقبح من كفر النصارى؛ فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

س ١٦: بين الشارح رحمه الله، توحيد المعتزلة (إنكار الصفات)، وماذا جنى على أهله، ثم ذكر فروعاً لهذا التوحيد، عند من غلا فيه، فما هي؟.

ج: ١ - من فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه، كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

٢ - ومن فروعه: أن عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

٣ - ومن فروعه: أنه لا فرق في التحليل والتحريم بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنى والنكاح، الكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

٤ - ومن فروعه: أن الأنبياء ضيَّقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٧: من أشهر من عرف تجاهله بإنكار الخالق، ولم؟.

ج: أشهر من عرف بذلك؛ نمرود وفرعون، فالأول حكى الله قصته في سورة البقرة والثاني في مواضع عدة من القرآن، وقد كانا مستيقنين به في الباطن، كما قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾.

= ببعضهما، كالماء في الورد. وهذه عقيدة فاسدة باطلة وكفر بالله وتكذيب لأدلة الشرع ومخالفة لأدلة العقل والفطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته. انظر (معجم المصطلحات الصوفية، ص: ٧٧) و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣٠، ٣٤).

(١) الاتحاد: ويسمون أهل الوحدة؛ ويزعمون أن الله حل في شيء من مخلوقاته، والحلول عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين ببعضهما، كالماء في الورد، وهذه عقيدة فاسدة باطلة وكفر بالله وتكذيب لأدلة الشرع ومخالفة لأدلة العقل والفطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته. انظر (معجم المصطلحات الصوفية، ص: ٧٧) و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣٠، ٣٤).

وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

ولهذا قال: وما رب العالمين؟ على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى:

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾.

س ١٨: هل يصح قول من قال: أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية[1] في الآيات الآنفة الذكر؟.

ج: زعمت طائفة أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية، وأن المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية، عجز موسى عن الجواب، وهذا غلط، وإنما هذا استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن، على أن فرعون كان جاحداً لله، نافياً له، لم يكن طالباً للعلم بماهيته. فلهذا بين لهم موسى، أنه معروف، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو؟ بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل؛ بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من كل معروف.

س ١٩: هل عرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له خالقان متماثلان في الصفات والأفعال؟ وعلام يدل هذا؟.

ج: لم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال.

فإن الثنوية من المجوس، والمانوية[2] ـ القائلين بالنور والظلمة، وأن

(١) الماهية: ماهية الشيء؛ أساسه وحقيقته وجوهره، وتطلق غالباً على الأمر المتعقّل من الإنسان، وهي أنواع.

(٢) المانوية: هم من الثنوية، ينسبون لمؤسسها ماني بن فاتك، ويقولون: إن مبدأ العالم شيئان؛ الأول: نور، والثاني: ظلمة، فالنور هو العظيم الأول وهو الإله الحق، والظلمة تختص بما هو شر وهلاك.

العالم صدر عنهما ـ متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين.

وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد. وعلى اختلافهم في تعيينه وفي التعبير عنه، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم، ثم يختلفون في ماهية الأقنوم.

وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين. فليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين.

س ٢٠: ما دليل التمانع عند أهل الكلام والنظر؟ ولماذا يستدلون به؟ وهل يصح ما ذهبوا إليه؟.

ج: دليل التمانع عندهم: أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما (مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته).

١ ـ فإما أن يحصل مرادهما.

٢ ـ أو مراد أحدهما.

٣ ـ أو لا يحصل مراد واحد منهما.

فالأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم عجز كل واحد منهما، والعاجز لا يكون إلهاً. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهيه.

ويستدلون بدليل التمانع على إثبات توحيد الربوبية، وكثير منهم يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن

ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب: هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. فلم يكونوا يعتقدون أن الأصنام مشاركة لله في خلق العالم، بل كانوا مشركين يتوسلون بهذه الأصنام، ويتخذونهم شفعاء، وهذا كان أصل شرك العرب.

س ٢١: هل لك أن تعطينا بعض الأدلة على أن أصل شرك العرب لم يكن في الربوبية، وإنما كان في الإلهية؟.

ج: نعم والأدلة على هذا كثيرة في الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾. فشركهم كان في توحيد الألوهية، فيما يسمونه وسائط ووسائل تقربهم إلى الله تعالى يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

س ٢٢: "توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية" أوضح ذلك؟.

ج: توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، دون العكس، فمن لا يقدر على الخلق، يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهاً، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١)﴾. فالإقرار بأن الله وحده هو الذي يستحق العبادة، يتضمن الإقرار بأنه وحده الخالق والمحيي والمميت.

أما توحيد الربوبية فلا يتضمن توحيد الإلهية؛ لأنه قد يقر بأن الله هو الخالق وحده والمدبر وحده، ثم يعبد من دونه آلهةً يزعم أنها تقربه إليه.

س ٢٣: ما دليلك أن التوحيد المطلوب من البشر هو توحيد الإلهية (الذي يتضمن توحيد الربوبية) وأن العباد مفطورون عليه؟.

ج: الأدلة على هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: " خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين".

س ٢٤: ما الأدلة العقلية على صدق ما أخبر به الرسول ﷺ من أن البشر مجبولون على معرفة الله بالفطرة؟.

ج: ١ ـ أن يقال: لا ريب أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً، وتارةً ما يكون باطلاً، وهو حساس متحرك بالإرادة، فلا بد له من أحدهما، ولا بد له من مرجح لأحدهما. ونعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يصدق وينتفع، وأن يكذب ويتضرر، مال بفطرته إلى أن يصدق وينتفع، وحينئذٍ فالاعتراف بوجود الصانع والإيمان به هو الحق أو نقيضه.

والثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول؛ فوجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به. وبعد ذلك: إما أن تكون محبته أنفع للعبد أو لا، والثاني فاسد قطعاً، فوجب أن يكون في فطرته محبة ما ينفعه.

٢ ـ ومنها: أنه مفطور على جلب المنافع ودفع المضار بحسبه، وحينئذ وإن لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين للفطرة، كالتعليم ونحوه، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع، استجابت لما فيها من المقتضي لذلك.

٣ ـ ومنها: أن يقال: من المعلوم أن كل نفس قابلةٌ للعلم وإرادة الحق، ومجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علم الجماد والبهائم لم يقبلا.

ومعلوم أن حصول إقرارها بالصانع ممكن من غير سبب منفصل من خارج، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضي قائماً في النفس، وقد عدم المعارض فالمقتضي السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها من يفسدها؛ كانت مقرة بالصانع عابدةً له.

٤ ـ ومنها: أن يقال: إنه إذا لم يحصل المفسد الخارج، ولا المصلح الخارج، كانت الفطرة مقتضيةً للصلاح، لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم والمانع منتفٍ.

٥ ـ منها: ما يحكى من قصة أبي حنيفة مع جماعة من أهل الكلام لما أرادوا أن يقرروا توحيد الربوبية. فضرب لهم مثلاً بسفينة في دجلة.. إلخ.

س ٢٥: ما التوحيد الذي يعتقده بعض أهل التصوف والكلام؟ وهل ينفعهم ذلك؟.

ج: يقرون بتوحيد الربوبية ويفنون[1] فيه ويجعلونه غاية السالكين، كما ذكره صاحب منازل السائرين ـ أبو إسماعيل الهروي ـ وغيره، ومع ذلك إن لم

---

(١) الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة عن السالك أو المريد الصادق !. وقد قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاثة أقسام: نوع للكاملين من الأنبياء والصالحين، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين. فالأول: الفناء عن إرادة ما سوى الله؛ بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه. والثاني: الفناء عن شهود السوي؛ فلا يخطر بقلوبهم غير الله ولا يشعرون بغيره، بحيث يكون عن استغراقه لا يشعر بغيره، وهذا الموضع زل فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد وأن المحب يتحد بالمحبوب. والثالث: الفناء عن وجود السوى ـ الفناء في الموجود ـ بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره، وهذا قول رجال الاتحادية الزنادقة كالبلياني والتلمساني والقونوي وغيرهم. انظر(الفتاوى ١٠/ ٢١٨، ٢٣٧) و(التعريفات للجرجاني، ٩٠) و (معجم ألفاظ الصوفية ٢٢٧).

يعبدوا الله وحده، ويتبرؤا من عبادة كل ما سواه، كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

س ٢٦: القرآن الكريم مملوء بتقرير توحيد الإلهية، بين ذلك مع ذكر بعض الأدلة؟.

ج: من ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنه إذا لم يكن لهم خالق إلا الله، فلم يعبدون غيره ويجعلون معه آلهةً أخرى؟! كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾. فيقول تعالى في آخر كل آية: أإله مع الله، أي أإله مع الله فعل هذا؟ وهذ استفهام إنكار يتضمن نفي ذلك. وليس المعنى استفهام؛ هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾.

س ٢٧: ما دليل التمانع، وماذا يفيد؟.

ج: دليل التمانع قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾. وأنزله الله تعالى ليبطل قول من أشرك به سبحانه في الربوبية، فلا بد في هذا الذي ذكره الله تعالى من ثلاثة أمور:

١ ـ إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

٢ ـ وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣ ـ وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيها كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

فدليل التمانع دل على أن خالق العالم واحد لا ربّ غيره فلا إله سواه، فذاك تمانع في الفعل والإيجاد وهذا تمانع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

س ٢٨: ما الآية التي ظن طوائف أنها آية التمانع، ولم؟ وماذا أفادت الآية؟.

ج: الآية قريب معناها من آية التمانع، ولكنها ليست هي، وهي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وغفلوا عن مضمون الآية:

* فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة ولم يقل: أرباب.

* وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما ـ وهما موجودتان ـ آلهة سواه لفسدتا.

* وأيضاً فإنه قال: (لفسدتا) وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا.

وأفادت الآية أنه لو كان لهذا الكون إلهان معبودان لفسد نظامه كله، ولكنه إله واحد لا شريك له ولا معبود سواه.

س ٢٩: كيف يكون توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، بين ذلك؟.

ج: نعم توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

س ٣٠: ما تفسير آخر آية في الجواب الآنف الذكر؟.

ج: جواب هذه الآية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

فيها للمتأخرين قولان:

أحدهما: لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبته.

الثاني: وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير ولم يذكر غيره: لاتخذوا سبيلاً بالتقرب إليه. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾.

س ٣١: ما توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد، وما التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الطلبي الإرادي؟.

ج: ١ ـ توحيد المعرفة والإثبات هو (التوحيد العلمي الخبري) وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ.

٢ ـ توحيد الطلب والقصد هو (التوحيد الطلبي الإرادي) وهو إفراد الله تعالى، وعبادته وحده لاشريك له.

س ٣٢: هات أدلة من الكتاب الكريم على النوعين السابقين؟.

ج: الأدلة كثيرة ومتنوعة:

فمن الأدلة على النوع الأول: كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (آل عمران) وسورة (الإخلاص).

ومن الأدلة على الثاني: سورة (الكافرون) وأول (السجدة) وآخرها، وأول سورة (يونس) ووسطها وآخرها، وجملة سورة (الأنعام).

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، فإن القرآن:

ـ إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ـ وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له.

ـ وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده في الدنيا والآخرة.

ـ وإما خبر عن أهل الشرك، وما وقع لهم في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

س ٣٣: ما معنى الشهادة وما مراتبها؟.

ج: عبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء والإعلام والبيان والإخبار. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه.

فلها مراتب أربع:

١ ـ أول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به.

٢ ـ وثانيها: تكلمه بذلك.

٣ ـ وثالثها: أن يعلم غيره بها ويبينها له.

٤ ـ ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

س ٣٤: هات دليلاً على مرتبة العلم؟.

ج: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله ﷺ "على مثلها فاشهد" وأشار إلى الشمس.

س ٣٥: هات دليلاً على مرتبة التكلم بها؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

س ٣٦: مرتبة الإعلام والإخبار نوعان، ما هما؟.

ج: ١ ـ إعلام بالقول.

٢ ـ إعلام بالفعل.

س ٣٧: وضح كيف تكون الشهادة والإعلام بالفعل، مع الدليل؟.

(ج:) التعليم تارةً يكون بالقول، وهذا لا إشكال فيه.

وتارةً يكون بالفعل، مثاله: من جعل داره مسجداً وفتح بابها وأفرزها بطريقها، وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها: معلماً أنها وقف وإن لم يتلفظ به.

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾. فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه.

(س ٣٨:) مرتبة الأمر والإلزام به؛ (مجرد الشهادة لا يستلزمه) بين ذلك؟.

(ج:) مرتبة الأمر بذلك والإلزام به ـ وأن مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذ الموضع تدل عليه وتتضمنه ـ فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾. ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهاً واحداً.

(س ٣٩:) الله تعالى بين وحدانيته غاية البيان بطرق ثلاث، ماهي؟.

(ج:) الطرق الثلاث هي:

١ ـ السمع.

٢ ـ البصر.

٣ ـ العقل.

(س ٤٠:) هل لك أن تبين هذه الطرق الثلاث؟.

(ج:) * أما السمع: فبسمع آياته المتلوة المبينة لما عرّفنا إياه من صفات كماله كلها، الوحدانية وغيرها غاية البيان. كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وكذلك السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، لم يحوجنا ربنا إلى رأي فلان ولا إلى ذوق فلان ووجدِهِ في أصول ديننا، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾. فلا يحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة.

* وأما آياته العيانية الخلقية: فالنظر فيها، والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية.

* والعقل يجمع بين هذه وهذه؛ فيجزم بصحة ما جاء به الرسول ﷺ؛ فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة.

س ٤١: ما بعث الله نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه. ما دليلك؟.

ج: الأدلة على هذا كثيرة جداً من الكتاب والسنة، فمنها، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾. فأي آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينهم وأدلتهم؟.

والله تعالى يرى عباده من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾. وهذا استدلال بأسمائه وصفاته، والأول استدلال بقوله وكلماته، واستدلاله بالآيات الأفقية والنفسية استدلال بأفعاله ومخلوقاته.

س ٤٢: كيف يُستدل بأسمائه وصفاته على ألوهيته وكمال صفاته، على أن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح؟.

ج: الجواب: ١ ـ أن الله تعالى قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه.

ومن كماله المقدس؛ شهادته على كل شيء واطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماء ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا معه غيره؟.

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب مفتر عليه. والقرآن مملوء من هذه الطريق وهي طريق الخواص، يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعله وما يفعله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٢ ـ ويستدل أيضاً بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾. وأضعاف ذلك في القرآن، وهذه طريق قليل سالكها لا يستدل بها إلا الخواص.

س٤٣: هناك من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، ما هذه الأنواع؟ وهل تتوافق مع التوحيد الذي جاءت به الرسل؟.

ج: الذين قالوا بهذا هم بعض الصوفية، وقسموه إلى ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد العامة: وهو التوحيد الذي تقدمت الإشارة إليه، وهو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب.

الثاني: توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق.

الثالث: توحيد خاصة الخاصة: وهو توحيد قائم بالقدم.

ولا ريب أن هذا تقسيم فاسد لا يلتفت إليه، فلا توحيد أكمل من التوحيد الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقتدي بهم فيه، كما قال تعالى بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾. فملة إبراهيم: التوحيد ودين محمد ﷺ: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً.

فهذا هو توحيد خاصة الخاصة؛ الذي من رغب عنه، فهو من أسفه السفهاء قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾.

س ٤٤: بين خطورة التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة؟.

ج: لاشك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء[1] الذي يشمر إليه غالب الصوفيه، وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد. انظر إلى ما أنشده شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي الأنصاري رحمه الله تعالى حيث يقول:

ما وحد الواحد من واحدِ ... إذ كل من وحده جاحدُ
توحيد من ينطق عن نعته ... عاريةٌ أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ... ونعت من ينعته لاحد[2]

وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظاً مجملاً

---

(١) انظر تعريف الفناء وأنواعه، ص: ٢٤.

(٢) يعني بهذه الأبيات أن كل من وحد الله فهو جاحد لحقيقة توحيده؟! وتوحيد الناطقين عنه عارية أبطلها الواحد، فالعارية لا بد أن ترجع إلى صاحبها، فهي وحدة مطلقة من جميع الوجوه، وتوحيده الحقيقي هو توحيده لنفسه بنفسه، ونعت الناعت له إلحاد وميل عن الصواب؟!
قال ابن القيم رحمه الله: أين قوله: (ما وحد الواحد من واحد) من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾.
فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحدونه، وأن أولي العلم يوحدونه، وكذلك إخباره عن أنبيائه ورسله وأتباعه أنهم وحدوه ولم يشركوا به شيئاً.. وأبطل الباطل أن يقال: كل من وحد الله من الأولين والآخرين جاحدٌ له. انظر (مدارج السالكين ٣/٥١٤)
وقد اعتذر له ابن القيم وحمل كلامه على محامل حسنة، وذكر أنه ممن نافح عن التوحيد، وله كتب في ذم المعطلة والحلولية، مثل كتاب(ذم الكلام)، فرحمهم الله ما أجلهم وآدبهم مع بعضهم في حمل كلام بعضهم على أحسن محمل ما دام له وجه لذلك.

محتَمِلاً جذبه به الاتحادي إليه، وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه، ولو سلك الألفاظ الشرعية التي لا إجمال فيها كان أحق. مع أن المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوباً منا لنبه الشارع عليه ودعا الناس إليه وبينه، فإنَّ على الرسول البلاغ المبين.

فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إليه؟!، فهذه النقول والعقول حاضرة هل جاء فيها ذكر الفناء؟ وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين المُشبه لغلو الخوارج بل لغلو النصارى في دينهم، وقد ذم الله الغلو في الدين ونهى عنه.

س ٤٥: هل يمكن أن يكون للمخلوق صفات وللخالق صفات وللمخلوق أسماء وللخالق أسماء؟ بين ذلك؟.

ج: اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من صفات المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على الممثلة المشبهة.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على النفاة المعطلة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق؛ فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

وكثير من المعطلة يوافقون أهل السنة أنه: (موجود) (عليم) (قدير) (حي).

والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه

عاقل، فإن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المُسمَّى كالمُسمي، فسمى نفسه: حياً عليماً قديراً رؤوفاً رحيماً عزيزاً حكيماً سميعاً بصيراً ملكاً جباراً متكبراً، وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾.

وقد سمى الله ورسوله صفات الله علماً وقدرةً وقوة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾.

ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

س٤٦: زعم بعض أهل البدع أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، كيف ترد عليهم قولهم؟.

ج: يرد عليهم بما مر آنفاً في الجواب السابق، ويقال لمن نفى الصفات التي وصف الله بها نفسه أو نفى بعضها كالغضب والرضا والحب والبغض:

أنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أَثبَتّه إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات!.

قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى، مثل: حي، عليم، قدير، والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما يثبت للعبد. فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول: هي مجاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!.

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود حق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه وليس هو مماثلاً له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً، بل أنكر وجود الواجب.

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه[1]، وإما غير واجب بنفسه[2] وإما قديم أزلي[1]، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن[2]، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عن ما سواه. وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين[3] وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي[4] خالق غني عما سواه وما سواه بخلاف ذلك.

س ٤٧: هل يتفق الخالق والمخلوق في الأسماء والصفات من بعض الوجوه؟.

ج: نعم، فالجواب الآنف يفصح عنه، ولكن من المعلوم أن أحدهما ليس مماثلاً للآخر في حقيقته.

إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع:

فأحدهما يجب قدمه، وهو موجود بنفسه، والآخر لا يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه.

وأحدهما خالق، والآخر ليس بخالق.

وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير.

فلو تماثلا للزم:

أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب.

---

(١) هو الخالق.

(٢) هو المخلوق.

(٣) النقيضان: هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد، بل يلزم من ثبوت أحدهما عدم الآخر، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر.

(٤) يستعمل الشارح في سياق الرد على أهل البدع مصطلحاتهم التي ينطقونها ويفهمونها، والأصل أن يُرد على أهل البدع بالألفاظ الشرعية، لكن المقام هنا مقام إفهام وإفحام فيسوغ هذا، لا سيما وأن كبار الأئمة ردوا عليهم بمثلها، كابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

موجوداً بنفسه غير موجود بنفسه.

خالقاً ليس بخالق، غنياً غير غني.

فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما منتفٍ بصريح العقل، كما هو منتفٍ بنصوص الشرع.

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين، كان مشبهاً قائلاً للباطل. وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك.

والعبد أيضاً مختص بوجوده وعلمه وقدرته والله تعالى منزه عن مشاركة العبد في خصائصه.

س٤٨: المطلق الكلي[1] يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه. ضل في هذا الأصل فريقان، ما أصل خطأهم ومن هم؟.

ج: هذا موضع اضطرب فيه كثير من النظار، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء، يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد.

وأصل الخطأ والغلط: توهمهم أن هذه الأشياء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك.

فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، لا يوجد إلا معيناً مختصاً. وهذه الأسماء إذا تسمى الله بها، كان مسماها معيناً مختصاً به.

فإذا سُمِّيَ بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق!.

---

(١) المطلق الكلي: هو الذي لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه، فيجوز أن تدخل فيه أفراد كثيرة لفظ الوجود.

ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك فالمشار إليه واحدٌ، لكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.

س ٤٩: الفريقان السابقان، كل منهم أحسن وأساء. بين ذلك؟.

ج: النفاة: أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه.

وأساؤوا في نفي المعاني الثابته لله تعالى في نفس الأمر.

والمشبهة: أحسنوا في إثبات الصفات.

وأساؤوا بزيادة التشبيه.

س ٥٠: ما منهج السلف في إثبات الصفات، ومنهج أهل الكلام فيها؟.

ج: منهج السلف في إثبات الصفات، كما في كتاب الله تعالى، فيأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً.

على عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، فيقولون: ليس بجسم ولا شبح، ولا جثة ولا صورة، ولا لحم ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، وليس بمحدود، ولا والد، ولا ولد، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار... إلخ.

وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة.

وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال، ولا كساح، ولا حجام، ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف، وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب.

س ٥١: ما معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وما معتقد أهل البدع فيها؟.

ج: أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى ما وصف به نفسه ووصفه به رسله من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله.

أما أهل البدع فينفون عنه صفاته ويعطلونها، وأغلب عقائدهم السلوب؛ ليس بكذا، ليس بكذا، وأما ما يثبتونه فهو قليل، وهو أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقىً من الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات. وسيأتي مزيد بيان لهذه النقطة والتنبيه على فساد معتقدهم.

س ٥٢: قال الإمام الطحاوي: "ولا شيء يعجزه" فهل هذا من النفي المذموم ولم؟.

ج: ليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: "ولا شيء يعجزه" من النفي المذموم فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾. فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة. وقد علم ببدائه العقول والفطر كمال قدرته وعلمه فانتفى العجز؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

س ٥٣: الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال. بين هذه العبارة في ضوء قول الطحاوي: "ولا إله غيره"؟.

ج: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلها كما تقدم ذكره، وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا ـ والله أعلم ـ لما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾. فأثبت أولاً ثم نفى، فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

س ٥٤: ما تقدير الخبر في: "لا إله إلا الله"؟ ولمَ أوردها الشارح هنا؟.

ج: قال بعض النحويين: تقديره: لا إله في الوجود إلا الله.

فاعترض عليهم صاحب " المنتخب " فقال: يكون ذلك نفياً لوجود الإله، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره، والإعراض عن هذا الإضمار أولى.

وأجاب المرسي في "ري الضمآن" فقال: هذا كلام من لا يعرف لغة العرب فإن "إله" في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم "لا" فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد.

وأما قوله: إذا لم يضمر يكون نفياً للماهية، فليس بشيء، لأن نفي الماهية هو نفي الوجود، لا تتصور الماهية إلا مع الوجود، فلا فرق بين "لا ماهية" و"لا وجود" وهذا مذهب أهل السنة، خلافاً للمعتزلة، فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود.

وأوردها الشارح هنا ليدفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك، وبيان أنه من جهة المعتزلة.

س ٥٥: قال الإمام الطحاوي: " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء "، ماذا أراد من هذا القول؟.

ج: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾.

وقال ﷺ: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء".

فقول الشيخ رحمه الله: قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، هو معنى اسمه الأول والآخر.

س ٥٦: لمَ كان ثبوت هذين الوصفين " الأول والآخر" مستقر في الفطر؟.

ج: لأن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً

للتسلسل[1]، فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات، والمعادن وحوادث الجو، كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم، لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٣٥)﴾. يقول سبحانه: أَحَدَثوا من غير مُحدِث أم هم أحدثوا أنفسهم؟، ومعلوم أن الشيء المُحدَث لا يوجد بنفسه.

س ٥٧: من الذي أدخل اسم "القديم" في أسمائه تعالى، وهل هو من اسمائه الحسنى؟.

ج: الذي أدخل "القديم" في أسمائه تعالى هم المتكلمون، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره.

فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٣٩)﴾. والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد، قيل للأول: قديم، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾. أي متقدم في الزمان.

وأما إدخال "القديم" في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ومنهم ابن حزم.

ويقال أيضاً: أن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على

(١) التسلسل: مصطلح لأهل الكلام، وهو: ترتيب أمور غير متناهية، وسمي بهذا أخذاً من السلسلة، وهي قابلة لزيادة الخلق إلى ما لا نهاية، وهو ثلاثة أنواع: ممتنع وواجب وممكن.

الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه "الأول". وهو أحسن من "القديم" لأنه يُشعر بأن ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف "القديم" والله تعالى له الأسماء الحسنى، لا الحسنة.

س ٥٨: قال الإمام الطحاوي: " لا يفنى ولا يبيد " بين معنى هذه العبارة؟.

ج: هذا إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى، قال عز من قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾. والفناء والبيد متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد، وهو أيضاً مقرر ومؤكد لقوله: " دائم بلا انتهاء ".

س ٥٩: لمَ أورد الطحاوي قوله: " ولا يكون إلا ما يريد "؟.

ج: هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة، والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

س ٦٠: لم سُميت القدرية بهذا الاسم؟.

ج: سُمُّوا قدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

س ٦١: ماذا قالت القدرية في القدر، وما معتقد أهل السنة فيه؟.

ج: يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة، والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً، فهو لا يحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله

لأفعلن كذا إن شاء الله، لم يحنث إذا لم يفعله، وإن كان واجباً أو مستحباً، ولو قال: . . إن أحب الله حنث، إذا كان واجباً أو مستحباً.

س ٦٢: ما أقسام الإرادة؟ ولم قسمها أهل السنة إلى قسمين؟.

ج: المحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان:

١ ـ إرادة قدرية كونية خلقية (هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث).

٢ ـ وإرادة دينية أمرية شرعية (هي المتضمنة للمحبة والرضى).

وقسمها أهل السنة إلى هذين القسمين، ليفرقوا بين ما قدره الله تعالى أزلاً، وبين ما أمر به شرعاً، وأنه لا تلازم بين الإرادتين. كما قالت به القدرية و الجبرية فضلوا في باب القدر.

س ٦٣: أورد بعض الأدلة لكل نوع من أنواع الإرادة؟.

ج: الأدلة على الإرادة القدرية الكونية.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية.

فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

س ٦٤: اذكر نوعي الإرادة في مثل كلام الناس، وماذا يفيد؟.

ج: ١ ـ الإرادة الدينية الشرعية الأمرية: في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه، ولا يأمر به.

٢ ـ الإرادة القدرية الكونية: فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ويفيد أن الفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل.

فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً، فهذه الإرادة المعلقة بفعله، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً، فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر، فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به، وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريداً منه فعله.

س ٦٥: هل الأمر مستلزم للإرادة؟ وضح إجابتك بضرب بعض الأمثلة؟.

ج: تحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أمر الخلق على ألسنة رسله عليهم السلام بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل، ويجعله فاعلاً له، ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات غير جهة أمره للعبد على وجه البيان، لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة. وهو سبحانه إذا أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان، كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم.

بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور إذا فعله أن يكون مصلحةً للآمر إذا فعله هو، أو جعل المأمور فاعلاً له، فأين جهة الخلق من جهة الأمر؟.

فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريداً لنصحه، ومبيناً له ما ينفعه، وإن

كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل، إذ ليس كل ما كان في مصلحتي في أن آمر به غيري وأنصحه يكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده، فجهة أمره لغيره نصحاً غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين، فهو في حق الله أولى بالإمكان.

س ٦٦: القدرية تنفي القدر وتضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمر، فإنه لا بد أن يفعلَ ما يكونُ المأمورُ أقربَ إلى فعله، كالبشر والطلاقة، وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك. فبم يرد عليهم؟.

ج: يقال لهم هذا على وجهين:

أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر تعود إلى الآمر، كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يُصلحُ ملكه، وأمر الإنسان شركاءه بما يُصلحُ الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الآمر يرى الإعانة للمأمور مصلحة له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى، فإنه قد عَلِمَ أن الله يثيبه على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

فأما إذا قدر أن الآمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفع يعود على الآمر من فعل المأمور، كالناصح المشير، وقدر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحةً للآمر، وأن في حصولِ مصلحة المأمور مضرةً على الآمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال لموسى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. فهذا مصلحته في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه، ومثل هذا كثير.

وإذا قيل إن الله أمر العباد بما يصلحهم لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لا سيما وعند القدرية لا يقدر أن يعين أحداً على ما به يصير فاعلاً، وإذا عللت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتة في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها، فلا يلزم إذا كان في نفس الآمر له حكمة في الأمر، أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه

على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر بأمر لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه على ذلك، فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.

س ٦٧: هل يحيط أحد بحكمة الله في خلقه وأمره؟.

ج: تفصيل حكمة الله في خلقه وأمره يَعْجِزُ عن معرفتها عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه، ولم يثبتوا حكمةً تعود إليه.

س ٦٨: ما معنى قول الطحاوي: " لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام"؟.

ج: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

قال في الصحاح: توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته. فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لاينتهي إليه وهم، ولا يحيط به علم.

قيل: الوهم: ما يرجى كونه، أي يظن أنه على صفة كذا.

والفهم: هو ما يحصله العقل ويحيط به، والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

س ٦٩: لمَ أورد الشيخ قوله: "ولا يشبه الأنام" وما معناها؟.

ج: أورده رداً على المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى، قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، فمن كلام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: " لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه ـ ثم

قال بعد ذلك ـ وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا " انتهى.

وقال نعيم بن حماد: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

س ٧٠: ما علامة الجهمية؟.

ج: قال خلق كثير من أئمة السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات، إلا يسمي المثبت لها مشبهاً، فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالية الزنادقة: (القرامطة والفلاسفة) وقال: إن الله لا يقال له عالم ولا قادر، يزعم أن من سماه بذلك، فهو مشبه، لأن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه.

ومن أثبت الاسم وقال: هو مجاز (كغالية الجهمية) يزعم أن من قال: إن الله عالم حقيقة، قادر حقيقة، فهو مشبه.

ومن أنكر الصفات وقال: إن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا محبة، ولا إرادة قال لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، وإنه مجسم، ولهذا كتب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة، والرافضة ونحوهم، كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة، ويقولون في كتبهم: إن من جملة المجسمة قوماً يقال لهم: المالكية ينسبون إلى رجل يقال له: مالك بن أنس، وقوماً يقال لهم: الشافعية، ينسبون إلى رجل يقال له: محمد بن إدريس! حتى الذين يفسرون القرآن منهم كعبدالجبار والزمخشري، وغيرهما، يسمون كل من أثبت شيئاً من الصفات وقال بالرؤية مشبهاً وهذا الاستعمال قد غلب عند المتأخرين من سائر الطوائف.

س ٧١: ما مقالة أهل السنة في نفي التشبيه؟.

ج: المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين: أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات، بل

مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة أنه تعالى يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فنفى المثل وأثبت الوصف.

س ٧٢: هل يجوز الاستدلال في العلم الإلهي بقياس تمثيل[(١)] يستوي في الأصل والفرع، أو بقياس شمولي[(٢)] يستوي فيه أفراده؟.

ج: العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل، يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده.

فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها، ولهذا سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعدَ التناهي والحيرة والاضطراب، لما يرون من فساد أدلتهم أو تكافئها.

س ٧٣: ماذا يستعمل في حق الله من الأقيسة، مع التمثيل والتوضيح؟.

ج: يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواءً كان تمثيلاً أو شمولاً كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾. مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو للمحدث، لا نقص فيه بوجه من الوجـــوه، ـ وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه ـ فالواجب القديم أولى به.

وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق المربوب

---

(١) قياس التمثيل: إلحاق فرع بأصل لعلة جامعة بين الأصل والفرع، فهو مبني على التسوية بين الأصل والفرع، ويريد به أهل الفلسفة؛ جعل الله أصلاً تقاس عليه المخلوقات، أو العكس، وهذا قياس فاسد ويحرم استعماله في حق الرب تعالى، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(٢) قياس الشمول: الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي. وحكمه كسابقه. فيحرم استخدامه في حق الرب تعالى، وإنما يستخدم القياس الأولى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾.

المدبر، فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره، فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمنه سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى.

س ٧٤: ما معنى الأنام، ولِمَ اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبه الأنام؟.

ج: نفي مشابهة شيء من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبه الأنام.

والأنام: الناس.

وقيل: الخلق كلهم.

وقيل: كل ذي روح.

وقيل: الثقلان، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾. يشهد للأول أكثر من الباقي. والله أعلم.

س ٧٥: استدل من كتاب الله تعالى على صفتي الحياة والقيومية، ولم أوردهما الشيخ رحمه الله في هذا الموضع؟.

ج: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

فنَفيُ السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾.

وقال ﷺ: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام" الحديث.

وأوردهما الشيخ هنا، لأنه لما نفى رحمه الله التشبيه، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون.

ومنه أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه، ليس المراد منه نفي

الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، لكمال ذاته.

س ٧٦: قال الشارح رحمه الله: فعلى هذين الاسمين (الحي القيوم) مدار الأسمـــاء الحسنى كلها، وضح ذلك؟.

ج: نعم؛ لأن اقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها ودوامها وانتفاء النقص عنه أزلاً وأبداً، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. أعظم آيةٍ في القرآن كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ.

فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم، فهو المتضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام.

س ٧٧: قال الطحاوي رحمه الله: " خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة " ماذا فيها من الصفات؟ وما معنى مؤنة؟.

ج: فيها صفتا الخلق والرزق، والأدلة عليها كثيرة جداً من الكتاب والسنة.

وقوله: بلا مؤونة: أي بلا ثِقَلٍ ولا كُلفة.

س ٧٨: قال الإمام الطحاوي: " مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة ". هل الموت صفة وجودية أم عدمية؟ ومن خالف في ذلك، وما دليلك؟.

ج: الموت صفة وجودية، خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقاً، وفي الحديث أنه: "يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار " وهو وإن كان عَرَضاً[1] فالله تعالى يقلبه عيناً كما ورد في

---

(١) العَرَضُ: انظر تعريفه، ص ١٤

العمل الصالح: " أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة ". وورد في القرآن: " أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون " الحديث. أي: قراءة القارئ، وورد في الأعمال: " أنها توضع في الميزان" والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض.

وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة: " يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ".

وفي الصحيحين: " أن أعمال العباد تصعد إلى السماء ".

س ٧٩: قال الطحاوي: " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً " وضح هذا المعنى بزيادة بيان؟.

ج: أي أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال:

صفات الذات.

وصفات الفعل.

ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، ولا يَرِدُ على هذا صفات الفعل، والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والطي، والاستواء، والإتيان، والمجيء والنزول، والغضب، والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله.

ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصله معلوم لنا كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء، كيف استوى؟.

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وإن كانت هذه الحوادث تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: " إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله " لأن الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن.

س ٨٠: أهل علم الكلام ينفون حلول الحوادث بالرب تعالى. فما حكم ذلك عند أهل السنة والجماعة (الألفاظ المجملة)؟.

ج: حلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال، فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل.

س ٨١: أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، ما مرادهم من ذلك؟.

ج: أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فَيُسَلِّمُ السُّنِّيُّ للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله؛ فإذا سلم له هذا النفي، ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل وهو لازم له، وإنما أُتِيَ السُّنِّي من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل، لم ينقطع معه.

وكذا مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل، وكذلك لفظ "الغير" فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له.

س ٨٢: هل يجوز إطلاق لفظ "الغير" على صفات الله وكلامه؟.

ج: أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أن غيره، ولا أنه ليس غيره، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأن هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل.

إن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات

التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة؛ فهذا حق. ولكن ليس في الخارج ذاتٌ مجردةٌ عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة، كلاً وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال.

س ٨٣: يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. أو يقول: الصفات عين الذات، أو صفات الله غير الله، فصل القول الصحيح في ذلك؟.

ج: يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. وهذا له معنىً صحيح، وهو: أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردةً بل هي غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد.

والتحقيق أن يفرق بين قول القائل: الصفات غير الذات، وبين قوله: صفات الله غير الله، فإن الثاني باطل، لأن مسمى الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات، فإنه لا يدخل فيه الصفات، لأن المراد أن الصفات زائدة على ما أثبته المثبتون من الذات، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة، ولهذا قال الشيخ رحمه الله: "ما زال بصفاته" ولم يقل: ما زال وصفاته، لأن العطف يؤذن بالمغايرة، وكذلك قال الإمام أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية، لا نقول: الله وعلمه الله وقدرته، الله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد سبحانه وتعالى.

س ٨٤: هل تنفصل الصفات عن الذات بوجه من الوجوه؟ مع الاستدلال؟.

ج: لا يتصور انفصال الصفات عن الذات بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتاً مجردة عن الصفات، كما يفرض المحال، وقد قال ﷺ: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " وقال ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " ولا يعوذ ﷺ بغير الله. وكذا قال ﷺ: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك".

وقال ﷺ: "ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا "، وقال ﷺ: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ".

س ٨٥: هل الاسم عين المسمى أم غيره؟.

ج: قولهم: هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المرادُ به المسمَّى نفسُه.

وإذا قلت: الله: اسم عربي، والرحمن: اسم عربي، والرحمن من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ها هنا للمسمى. ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحقٌّ.

وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماءً، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى.

س ٨٦: لم أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع؟.

ج: أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع؛ لأن الكلام كان في الصفات وإثباتها والرد على من أنكرها، والألفاظ المجملة وحكمها، ثم ذكر الشيخ أن من الألفاظ المجملة؛ هل صفات الله وكلامه هي ذاته أم لا، وبين أن أئمة السنة لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره، وذكر أن لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل. ثم ذكر الشيخ أن الذات لا يتصور أن تنفصل عن الصفات بوجه من الوجوه، وذكر الأدلة على ذلك. ناسب أن يذكر في هذا المقام الاسماء بعد ذكر الصفات، وهل الاسم عين المسمى أو غيره، وبين أن لفظة "غيره" من الألفاظ المجملة ثم فصل القول فيها.

س ٨٧: قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه. . ." لمَ أورد هذا القول؟.

(ج) أورد هذا القول في الرد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي!، وعلي بن كلاب والأشعري ومن وافقهما، فإنهم قالوا: إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه.

وأما الكلام عندهم، فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحدٌ لازم لذاته.

س ٨٨: قالت الجهمية بامتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، فما أهمية هذا القول لديهم، ولم قالوا به، وكيف ترد عليهم قولهم؟.

(ج) هذا القول من أصول أهل الكلام المذموم، وقالوا به لينفوا صفات الله تعالى الذاتية والفعلية وكلامه، ولينفوا بقاء وأبدية الجنة والنار.

قال الشارح: وأصل هذا الكلام من الجهمية، فإنهم قالوا: إن دوام الحوادث ممتنع، وإنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ، لامتناع حوادث لا أول لها، فيمتنع أن يكون الباري ﷻ لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئته، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك؛ لأن القدرة على الممتنع ممتنعة!.

وهذا فاسد، فإنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث، والحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً، فلا بد أن يكون ممكناً، والإمكان ليس له وقت محدود، وما من وقت يُقَدَّرُ إلا والإمكان ثابت فيه، فليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه.

فَيَلزَمُ أنه لم يزل الرب قادراً عليهم.

فَيَلزَمُ جواز حوادث لا نهاية لها.

قالت الجهمية ومن وافقهم: نحن لا نسلم أن إمكان الحوادث لا بداية له، لكن نقول: إمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية له، وذلك لأن الحوادث عندنا تمتنع أن تكون قديمة النوع، بل يجب حدوث نوعها، ويمتنع قدم نوعها، لكن لا يجب الحدوث في وقت بعينه، فإمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية له، بخلاف جنس الحوادث.

فيقال لهم: هب أنكم تقولون ذلك، لكن يقال: إمكان جنس الحوادث عندكم له بداية، فإنه صار جنس الحدوث عندكم ممكناً بعد أن لم يكن ممكناً، وليس لهذا الإمكان وقت معين، بل ما من وقت يُفرض إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم دوام الإمكان وإلا لزم انقلاب الجنس من الامتناع إلى الإمكان، من غير حدوث شيء، ومعلوم أن انقلاب حقيقة جنس الحدوث، أو جنس الحوادث، أو جنس الفعل أو جنس الأحداث، أو ما أشبه ذلك من العبارات من الامتناع إلى الامكان، هو يُصيّر ذلك ممكناً جائزاً بعد أن كان ممتنعاً من غير سبب تجدد، وهذا ممتنع في صريح العقل.

فالحاصل: أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟.

س ٨٩: ما أقوال أهل النظر في إمكانية دوام نوع الحوادث؟.

ج: في هذا ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم:

أضعفها: قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف.

وثانيها: قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

وثالثها: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث[1]، وهي من المسائل الكبار، ولم يقل أحد: يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق، كائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

---

(١) هذا هو القول الحق الذي دلت عليه الدلائل الشرعية ـ من الكتاب والسنة ـ والعقلية وإجماع سلف الأمة عليه.

س ٩٠: هل يمنع (تسلسل الحوادث في الماضي وتسلسلها في المستقبل) أن يكون الرب سبحانه هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، مع الاستدلال لما تقول؟.

ج: من المعلوم أن كون المفعول مقارناً لفاعله ـ لم يزل ولا يزال معه ـ ممتنع محال، ولما كان تسلسل[1] الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء، ويتكلم إذا يشاء، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾﴾. والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود وحينئذٍ فإذا كان النوع دائماً، فالممكن والأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد بحيث لا يكون في أجزاء العالم شئ يقارنه بوجه من الوجوه.

وأما دوام الفعل، فهو أيضاً من الكمال، فإن الفعل إذا كان صفةَ كمال فدوامه دوام الكمال.

س ٩١: ما حكم لفظ التسلسل عند أهل السنة والجماعة؟ وما أقسامه؟.

ج: لفظ التسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى أقسام ثلاثة: واجب، وممتنع، وممكن.

س ٩٢: هل لك أن تبين أنواع التسلسل بأمثلة توضيحية؟.

ج: ١ ـ التسلسل الممتنع (مثاله): كالتسلسل في المؤثرين، فهو محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون، كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لا إلى غاية.

---

(١) انظر تعريف التسلسل ص ٤٠

٢ ـ التسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفادَ له.

٣ ـ التسلسل الممكن: كالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حياً قادراً مريداً متكلماً ـ وذلك من لوازم ذاته ـ فالفعل ممكن له بوجوب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل.

س٩٣: هل التسلسل في أفعاله تعالى من طرف الأزل، من الواجب أم الممتنع أم الممكن؟.

ج: التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقتٍ، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت بالفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال، ولم يكن ربنا تعالى في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل.

س٩٤: هل يلزم من التسلسل الممكن في مفعولاته، أن يكون الخلق لم يزالوا معه أزلاً وأبداً؟.

ج: لا يلزم من التسلسل في مفعولاته أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فَلِكُلِّ مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق، كائن بعد أن لم يكن.

وكل قول سوى هذا، فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه.

س٩٥: كل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما ما هما، وعلام يدل ذلك؟.

ج: يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما:

١ ـ إما أن يقول: بأن الفعل لم يزل ممكناً.

٢ ـ وإما أن يقول: لم يزل واقعاً.

وإلا تناقض تناقضاً بيناً، حيث زعم أن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال وهو مقدور له، وهذا قول ينقض بعضه بعضاً.

ويدل ذلك على أن الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن.

أما كون الرب تعالى لم يزل معطلاً عن الفعل، ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبته، بل كلاهما يدل على نقيضه.

س ٩٦: أورد أبو المعالي الجويني في "إرشاده" وغيره من النظار على التسلسل في الماضي، فقالوا: إنك لو قلت: لا أعطيك درهماً إلا أعطيتك بعده درهماً كان هذا ممكناً، ولو قلت: لا أعطيك درهماً حتى أعطيك قبله درهماً، كان هذا ممتنعاً، فكيف يرد عليهم قولهم؟.

ج: هذا التمثيل والموازنة غير صحيحة، بل الموازنة الصحيحة أن تقول:

ما أعطيتك درهماً إلا أعطيتك قبله درهماً، فتجعل ماضياً قبل ماضٍ، كما جعلت هناك مستقبلاً بعد مستقبل.

وأما قول القائل: لا أعطيك حتى أعطيك قبله فهو نفي للمستقبل، حتى يحصل في المستقبل، ويكون قبله، فقد نفى المستقبل حتى يوجد المستقبل، وهذا ممتنع، أما نفي الماضي حتى يكون قبله ماض، فإن هذا ممكن، والعطاءُ المستقبلُ ابتداؤه من المعطي. والمستقبل الذي له ابتداء وانتهاء لا يكون قبله ما لا نهاية له، فإن ما لا نهاية له فيما يتناهى ممتنع.

س ٩٧: هل الإمام الطحاوي يقول بتسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل أم لا يقول به؟.

ج: ظاهر كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه يمنع تسلسل الحوادث في

الماضي، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل وهو قوله: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان " وهذا مذهب الجمهور، ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل، كما ذهب إليه الجهم وأتباعه.

س ٩٨: ما أظهر في الصحة، قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها أم قول من فرق بينهما (أي أقر بأحدها ونفى الآخر)؟.

ج: قال الشارح: وأما قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، فأظهر في الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حياً، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلاً لما يريد، كما وصف بذلك نفسه حيث يقول: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

س ٩٩: دلت الآية الآنفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ على أمور عدة، اذكرها؟.

ج: أحدها: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

الثاني: أنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، ولا يجوز أن يكون عادماً لذلك الكمال في وقت من الأوقات وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله، لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن.

الثالث: أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن «ما» موصولة عامة، أي يفعل كل ما يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله. وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر؛ فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه عليه ويجعله فاعلاً لم يوجد الفعل، وإن أراده حتى يريد من نفسه أن يجعله فاعلاً.

الرابع: أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد، فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام، ويفعل ما يريد.

س ١٠٠: القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه لوازم، بينها واذكر القول الصحيح في ذلك؟.

ج: القول بأن الحواث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله تعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلاً.

ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى.

س ١٠١: ما أقوال الناس في هذا العالم؟.

ج: للناس قولان في هذا العالم: هل هو مخلوق من مادة أم لا؟.

س ١٠٢: ما أول هذا العالم؟.

ج: اختلفوا في أول هذا العالم ما هو؟ وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: " كان الله ولم يكن شئ قبله "، وفي رواية: " ولم يكن شيء معه "، وفي رواية: "غيره "، "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض ".

س ١٠٣: ما معنى قوله ﷺ: "وكتب في الذكر كل شيء "؟.

ج: قوله ﷺ: "كتب في الذكر" يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾. سَمَّى ما يُكتب في الذكر ذكراً، كما يسمى في الكتاب كتاباً.

س ١٠٤: انقسم الناس في فهم هذا الحديث الآنف: "كان الله ولم يكن شيء قبله" إلى قسمين، اذكرهما؟.

ج: الناس في هذا الحديث على قولين:

١ ـ منهم من قال: إن المقصود إخباره بأن الله كان موجوداً وحده، ولم يزل كذلك دائماً، ثم ابتدأ إحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان، وأن الله صار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئاً من الأزل إلى حين ابتداء الفعل ولا كان الفعل ممكناً.

٢ ـ القول الثاني: المراد إخباره عن مبدإ هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام، ثم استوى على العرش، كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: " قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء ". فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حينئذٍ على الماء.

س ١٠٥: أي القولين السابقين هو الراجح، ولم؟.

ج: القول الثاني هو الصحيح منهما، للوجوه التالية:

١ ـ أحدها: أن قول أهل اليمن: جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر، وهو إشارة إلى حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعنى المأمور، أي: الذي كَوّنه الله بأمره، وقد أجابه النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه، وقد أخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل خلق السماوات والأرض.

٢ ـ أيضاً: فإنه قال: " كان الله ولم يكن شيء قبله" وقد روي " معه " روي "غيره" والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ، والآخران رويا بالمعنى، ولفظ "القَبْلِ" ثبت عنه في غير هذا الحديث.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ" الحديث. واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر، ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ القبل كالحميدي والبغوي وابن الأثير، وإذا كان كذلك لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق.

٣ ـ وأيضاً: فإنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معه" أو "غيره"، "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ". فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو، "وخلق السماوات والأرض " رُوي بالواو وبثم، فظهر أن مقصوده إخباره إياهم ببدء خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء خلق ما خلقه الله قبل ذلك، وذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقهما وذكر ما قبلهما بما يدل على كونه ووجوده، ولم يتعرض لابتداء خلقه له.

٤ ـ وأيضاً فإنه إذا كان الحديث قد ورد بهذا وهذا، فلا يجزم بأحدهما إلا بدليل، فإذا رجح أحدهما، فمن جزم بأن الرسول أراد المعنى الآخر، فهو مخطئ قطعاً، ولم يأت في الكتاب ولا في السنة ما يدل على المعنى الآخر، فلا يجوز إثباته بما يظن أنه معنى الحديث ولم يَرِدْ: "كان الله ولا شيء معه" مجرداً، وإنما ورد على السياق المذكور، فلا يظن أن معناه: الإخبار بتعطيل الرب تعالى دائماً عن الفعل حتى خلق السماوات والأرض.

٥ ـ وأيضاً فقوله ﷺ: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معه" أو "غيره"، "وكان عرشه على الماء " لا يصح أن يكون المعنى أنه تعالى موجود وحده لا مخلوق معه أصلاً، لأن قوله: "وكان عرشه على الماء " يَرُدُّ ذلك، فإن هذه الجملة وهي: "وكان عرشه على الماء" إما حالية، أو معطوفة، وعلى كلا التقديرين، فهو مخلوق موجود في ذلك الوقت، فعُلمَ أن المراد: ولم يكن شئ من هذا العالم المشهود.

س١٠٦: قال الإمام الطحاوي: "له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق "، فما معنى كلامه يرحمه الله؟.

ج: يعني أن الله تعالى موصوفٌ بأنه "الرب" قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه "خالق" قبل أن يوجد مخلوق.

قال بعض المشايخ الشارحين: وإنما قال: "له معنى الربوبية ومعنى الخالق" دون الخالقية، لأن الخالق هو المُخرِجُ للشئ من العدم إلى الوجود لا غير، والرب يقتضي معاني كثيرة، وهي الملك والحفظ والتدبير والتربية، وهي تبليغ الشئ كماله بالتدريج، فلا جرم أن يأتي بلفظ يشمل هذه المعاني، وهو الربوبية. انتهى.

وفيه نظر، لأن الخلق يكون بمعنى التقدير أيضاً.

س١٠٧: اشرح قول الطحاوي: "وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم"؟.

ج: يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، إلزاماً للمعتزلة ومن قال بقولهم، كما حكينا عنهم فيما تقدم، وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل ما يشاء.

س١٠٨: إلى ماذا أشار الشيخ بقوله: " ذلك بأنه على كل شيء قدير. . ."؟.

ج: ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه، والكلام على كل وشمولها، وشمول كل في كل مقام بحسب ما يحتف بها من قرائن، يأتي في مسألة الكلام إن شاء الله تعالى.

س١٠٩: ما معتقد المعتزلة في قدرة الله تعالى ؟ وبم يرد عليهم؟ وما معتقد أهل السنة في ذلك؟.

ج: حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فقالوا: إنه قادر على ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد، فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا: هل يقدر على مثلها أم لا؟ ولو كان المعنى على ما قالوا، لكان هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه، وخالق

لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها، فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شئ.

وأما أهل السنة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكلٌ ممكنٍ، فهو مندرجٌ في هذا، وأما المحال لذاته، مثل: (كون الشئ الواحد موجوداً معدوماً في حالٍ واحدة)، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خلق مثل نفسه، وإعدام نفسه، وأمثال ذلك من المحال.

وهذا الأصل، هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير.

س ١١٠: هل المعدوم الممكن له وجود في الخارج؟ وهل في قدرة الرب تعالى أن يكتبه ويعلمه ويذكره وهو كذلك؟.

ج: تنازع الناس في المعدوم الممكن هل هو شيء أم لا؟.

والتحقيق: أن المعدوم ليس بشئ في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب، لا في الخارج، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لم تكن شيئاً في الخارج، وإن كان شيئاً في علمه تعالى، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾.

س ١١١: لم أورد الشيخ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ في الموضع الآنف بعد قوله: " ذلك بأنه على كل شيء قدير . . . "؟.

ج: أورد هذه الآية رداً على المشبهة والمعطلة فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على المشبهة وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌ على المعطلة، فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، وليس له فيها شبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب

وبصره، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيه، إذ صفات المخلوق كما يليق به وصفات الخالق كما يليق به.

س ١١٢: ما حكم من نفى عن الله ما وصف به نفسه؟ أو من شبه الله تعالى بخلقه؟.

ج: قال الشارح: ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه، وما وصفه به أعرف الخلق بربه، وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنصحهم لأمته وأفصحهم وأقدرهم على البيان فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك، كنت كافراً بما أنزل على محمد ﷺ.

وإذا وصفته بما وصف به نفسه، فلا تشبهه بخلقه، فليس كمثله شيء، فإذا شبهته بخلقه، كنت كافراً به. قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: " من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً ".

س ١١٣: اشرح قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؟ وهل من نفى عن الله صفاته وسلبها قد جعل له مثل السوء؟ وضح ذلك.

ج: وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فجعل سبحانه مثل السوء ـ المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال ـ لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى ـ المتضمن لإثبات الكمال كله ـ لله وحده، فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى، فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب تعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من

الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثلٌ أو نظير.

س ١١٤: دارت عبارات السلف في المراد بالمثل الأعلى، على معان عدة اذكرها؟.

ج: اختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى، ووفق بين قولهم بعض من وفقه الله وهداه، فقال: المثل الأعلى يتضمن:

الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها، وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه.

فها هنا أربعة أمور:

الأول: ثبوت الصفة العليا لله سبحانه، سواء علمها العباد أو لا، وهذا معنى من فسرها بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه في قلوب عابديه وذاكريه.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها، وتنزيهها من العيوب والنقائص.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

س ١١٥: أورد الشيخ الشارح مثلين لمن ابتدع ونفى الصفات، كيف أوصلتهم بدعتهم إلى الأمر بتحريف القرآن، اذكرهما؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: فمن أضل ممن يعارض بين قول تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية، وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، حتى أفضى هذا الضلال ببعضهم - وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي - إلى أن أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، حرف كلام الله لينفي وَصْفَه تعالى بأنه السميع البصير.

كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بمنه وكرمه.

س ١١٦: ما إعراب "كمثله" في الآية الآنفة الذكر؟.

ج: في إعراب "كمثله" وجوه:

أحدها: أن الكاف صلة زيدت للتأكيد، فيكون "مثله" خبر "ليس" واسمها "شئ".

الثاني: أن الزائد "مثل" أي: ليس كهو شيء، وهذا القول بعيد.

الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلاً، بل هذا من باب قولهم: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعله، وأتى بمثل للمبالغة، وقالوا في معنى المبالغة هنا: أي: ليس لمثله مِثْلٌ لو فرض المِثْلُ، فكيف ولا مثل له. وقيل غير ذلك والأول أولى.

س ١١٧: اشرح قول الطحاوي رحمه الله: "خلق الخلق بعلمه"؟.

ج: خلق: أي أوجد وأنشأ وأبدع، ويأتي "خلق" أيضاً بمعنى: قدر.

والخلق: مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق، وقوله: "بعلمه" في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾، وفي ذلك رد على المعتزلة.

س ١١٨: ما قول المعتزلة في علم الله، والآيات التي تثبته؟.

ج: تنفي المعتزلة علم الله تعالى، وتحرف الآيات التي تثبت الصفات، فيقولون: لا يجهل! فهل هذا إثبات؟، ولا يعترفون أنه تعالى عالم بعلم.

قال الإمام عبد العزيز المكي، صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليسه، في كتاب "الحيدة" الذي حكى فيه مناظرته بشراً المريسي عند

المأمون حين سأله عن علمه تعالى: فقال بشر: أقول لا يجهل، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم تقريراً له وبشر يقول: لا يجهل، ولا يعترف أنه عالم بعلم، فقال الإمام عبد العزيز: نفي الجهل لا يكون صفة مدح، فإن قولي: هذه الاسطوانة لا تجهل، ليس هو إثبات العلم لها، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم، لا بنفي الجهل، فمن أثبت العلم، فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل، لم يثت العلم، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه، وينفوا ما نفاه، ويمسكوا عما أمسك عنه.

س ١١٩: الآيات الدالة على علم الله تعالى كثيرة، فهل لك بذكر دليل عقلي على علمه تعالى؟.

ج: الدليل العقلي على علمه تعالى:

* أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإردته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

* ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم.

* ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً.

س ١٢٠: ذكر الشارح يرحمه الله في الدليل العقلي على علم الله؛ أن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً، وذكر طريقان لهذا الدليل العقلي، ما هما؟.

ج: أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم ضرورةً أنا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم، كان العالم أكمل فلو لم يكن الخالق عالماً، لزم أن يكون الممكن (المخلوق) أكمل منه، وهو ممتنع.

الثاني: أن يقال: كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه، بل هو أحق به، والله

تعالى له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوقات لا في قياس تمثيل[١]، ولا في قياس شمول[٢]، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال، فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى.

☆ ☆ ☆

---

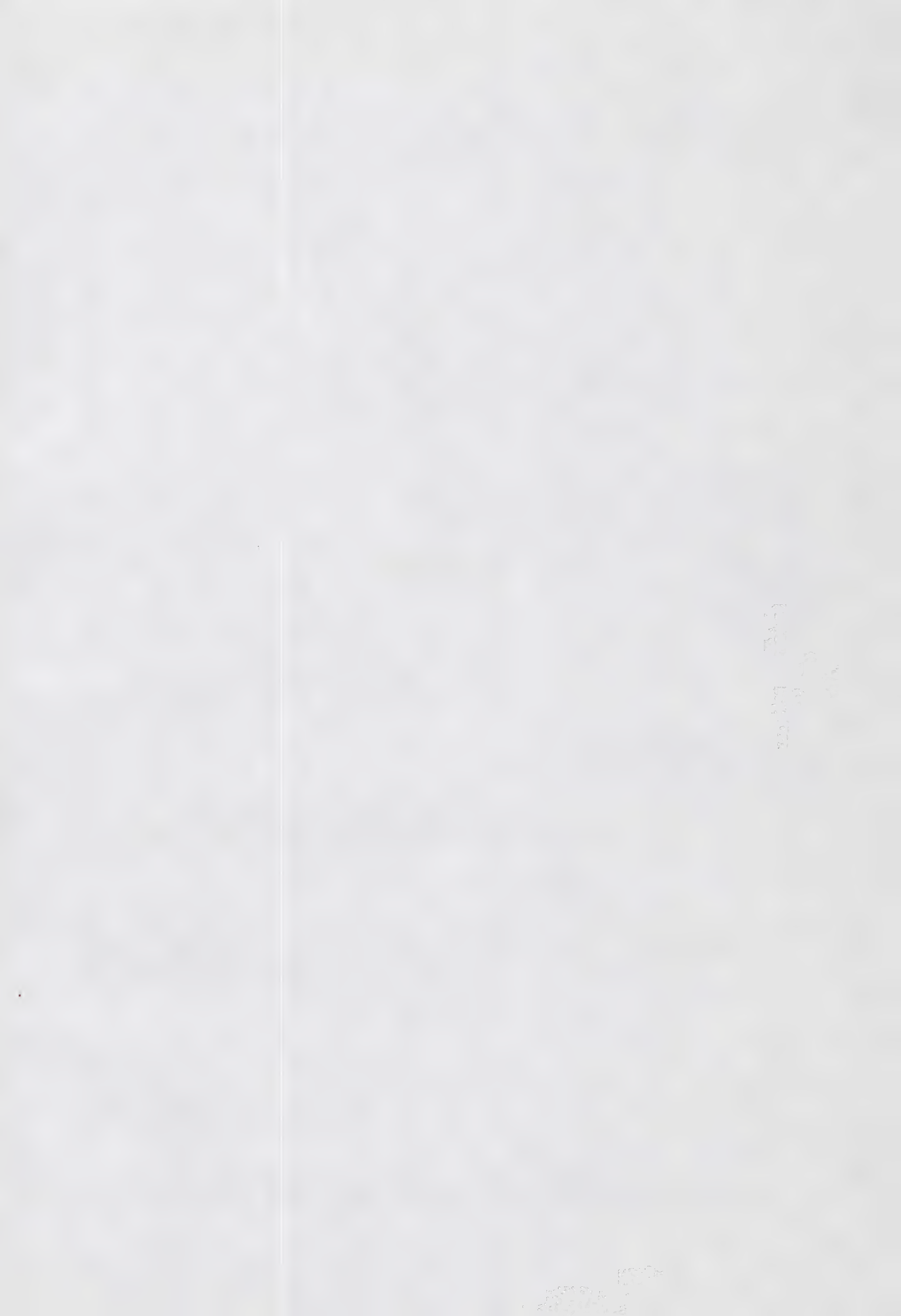
(١) سبق التعريف به، ص ٤٧.

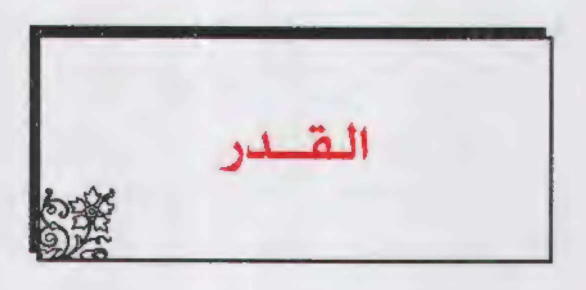
(٢) سبق التعريف به، ص ٤٧.



الفصل الثالث

القــدر





س ١٢١: هات أدلة من الكتاب والسنة على القدر؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء ".

س ١٢٢: هل الآجال مقدرة مضروبة، مع الاستدلال لما تقول؟.

ج: نعم هي كذلك، قال الطحاوي رحمه الله: "وضرب لهم آجالاً "، يعني أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: "قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة،

وأرزاق مقسومة، لن يُعَجّل شيئاً قبل حله، ولن يؤخر شيء عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان خيراً وأفضل ".

س ١٢٣ : ما قول المعتزلة في الآجال وأسبابها؟.

ج: من المعلوم أن لكل أجل سبب، فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بالحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل، لعاش إلى أجله، فكان له أجلان، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص، والضمان على القاتل، لارتكابه المنهي عنه، ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا يخرَّج قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر" أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يعش إلى تلك الغاية، ولكن قدر الله هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه، فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

س ١٢٤ : ما معنى قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر"؟.

ج: أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يعش إلى تلك الغاية، ولكن قدر الله هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه، فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

س ١٢٥ : هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟.

ج: ذلك غير لازم، لقوله ﷺ لأم حبيبة رضي الله عنها: "قد سألت الله

تعالى لآجالٍ مضروبة " الحديث، كما تقدم.

فعلم أن الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغييرها، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة، فإن الدعاء مشروع له نافع فيه، ألا ترى أن الدعا بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي، شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار بن ياسر ﷺ أنه قال: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي " إلى آخر الدعاء.

ويؤيد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ: "لايرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ".

س ١٢٦: يظن بعض الناس أن النذر سبب في دفع البلاء، بم يرد عليهم؟.

ج: يرد عليهم بالحديث الآنف الذكر "لايرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " وفيه رد على من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: "إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل ".

س ١٢٧: لمن يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾؟.

ج: قيل الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ إنه بمنزلة قولهم: عندي درهم ونصفه، أي ونصف درهم آخر، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر.

وقيل الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة.

س ١٢٨: علام حمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾؟.

ج: ١ ـ حملت هذه الآية، على أن المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي

الملائكة، وأن قوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾، اللوح المحفوظ، ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ثم قال: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي من ذلك الكتاب، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ.

٢ ـ وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه، ويثبت ما يشاء، فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، فأخبر أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله، ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي: أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها، ثم تنسخ بالشريعة الأخرى، فينسخ الله ما يشاء من الشرائع عند انقضاء الأجل، ويثبت ما يشاء.

وفي الآية أقوال أخرى، والله أعلم بالصواب.

س ١٢٩: قال الطحاوي: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم" ما معنى قوله هذا؟.

ج: أي أنه يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾، وإن كان يعلم أنهم لا يُرَدُّون، ولكن أخبر أنهم لو رُدُّوا، لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾.

س ١٣٠: لم أورد الطحاوي قوله الآنف: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم"؟.

ج: لأن في ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشئ قبل أن يخلقه ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

س ١٣١: لم ذكر الشيخ الأمر والنهي في قوله: " وأمرهم بطاعته. " بعد ذكره الخلق والقدر؟.

ج: ذكر الشيخ رحمه الله الأمر والنهي، بعد ذكره الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

س ١٣٢: قال الإمام الطحاوي: " وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئَتُهُ تنفذ لا مشيئةَ للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن " اشرح قوله مع الاستدلال؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾.

وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكيف يكون في ملكه ما لا يشاؤه! ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٣٣: إن قيل يشكل على ما ذكرت آنفاً أنه ما لم يشأ الله لم يكن، وما شاءه كان واستدللت عليه، باحتجاج أهل الشرك بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾. وقد ذمهم الله على أن جعلوا الشرك كائناً بمشيئة الله، فبم تجيب على هذا الإشكال؟.

ج: أجيب على هذا بأجوبة من أحسنها:

* أنه أنكر عليهم ذلك، لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته،

وقالوا: لو كره ذلك وسخطه، لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك.

* أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به.

* أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه، وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعةً للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة والجهال، إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر.

وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد لذلك قوله تعالى في الآية: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له أن الله لم يُقدّره؟ أطلع الغيب؟!.

س ١٣٤: إن احتج محتج على شركه أو معاصيه بالقدر، وقال: قد احتج آدم على موسى بالقدر، فغلبه بالحجة، فأنا كآدم لما احتج بالقدر، أحتج به؟.

ج: يقال له: الحديث صحيح نتلقاه بالقبول والطاعة، لا بالرد والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرية، ولا بالتأويلات الباردة.

بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم عليه السلام على ذنب قد تاب منه، وتاب الله عليه، واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعايب.

س ١٣٥: قال إبليس محتجاً على ربه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ واحتج بالقدر، بأن الله تعالى أغواه، فما الجواب؟.

ج: الله تعالى ذم إبليس على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالقدر، وإثباته له، ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ

لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾، وإبليس لم يحتج بالقدر لإيمانه به، وإنما لدفع الأوامر الشرعية به، ولقد أحسن القائل:

فما شئت كان وإن لم أشأ   وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

وعن وهب بن منبه، أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر، أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه.

س ١٣٦: لِمَ أورد الطحاوي قوله: "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً "؟.

ج: أورده رداً على المعتزلة الذين يقولون بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال.

س ١٣٧: ما قول المعتزلة في مسألة الهدى والضلال، وعلى ما بنوا هذا؟.

ج: قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال، عند خلق العبد الضلال في نفسه.

وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

س ١٣٨: ما قول أهل السنة والجماعة في مسألة الهدى والضلال، مع الاستدلال؟.

ج: تقدم قولهم آنفاً، وهو أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، ولو كان الهدى بيان الطريق، لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾.

وقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

وقوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

س ١٣٩: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله "؟.

ج: هم كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، فمن هداه الله إلى الإيمان، فبفضله وله الحمد، ومن أضله فبعدله، وله الحمد، وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى، فإن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في القدر في مكان واحد، بل فرقه فأتيت به على ترتيبه.

س ١٤٠: قال الطحاوي: "وهو متعال عن الأضداد والأنداد "، ما معنى الأضداد والأنداد؟.

ج: الضد: المخالف.

والند: المِثْل.

فهو سبحانه لا معارض له، بل هو كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

س ١٤١: لم أشار الشيخ بقوله: " وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد"؟.

ج: يشير الشيخ رحمه الله بنفي الضد والند، إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله.

س ١٤٢: اشرح قول الطحاوي يرحمه الله: " لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره ".؟.

ج: أي لا يرد قضاء الله رادٌّ.

ولا يعقب، أي: لا يؤخرُ حكمه مؤخر.

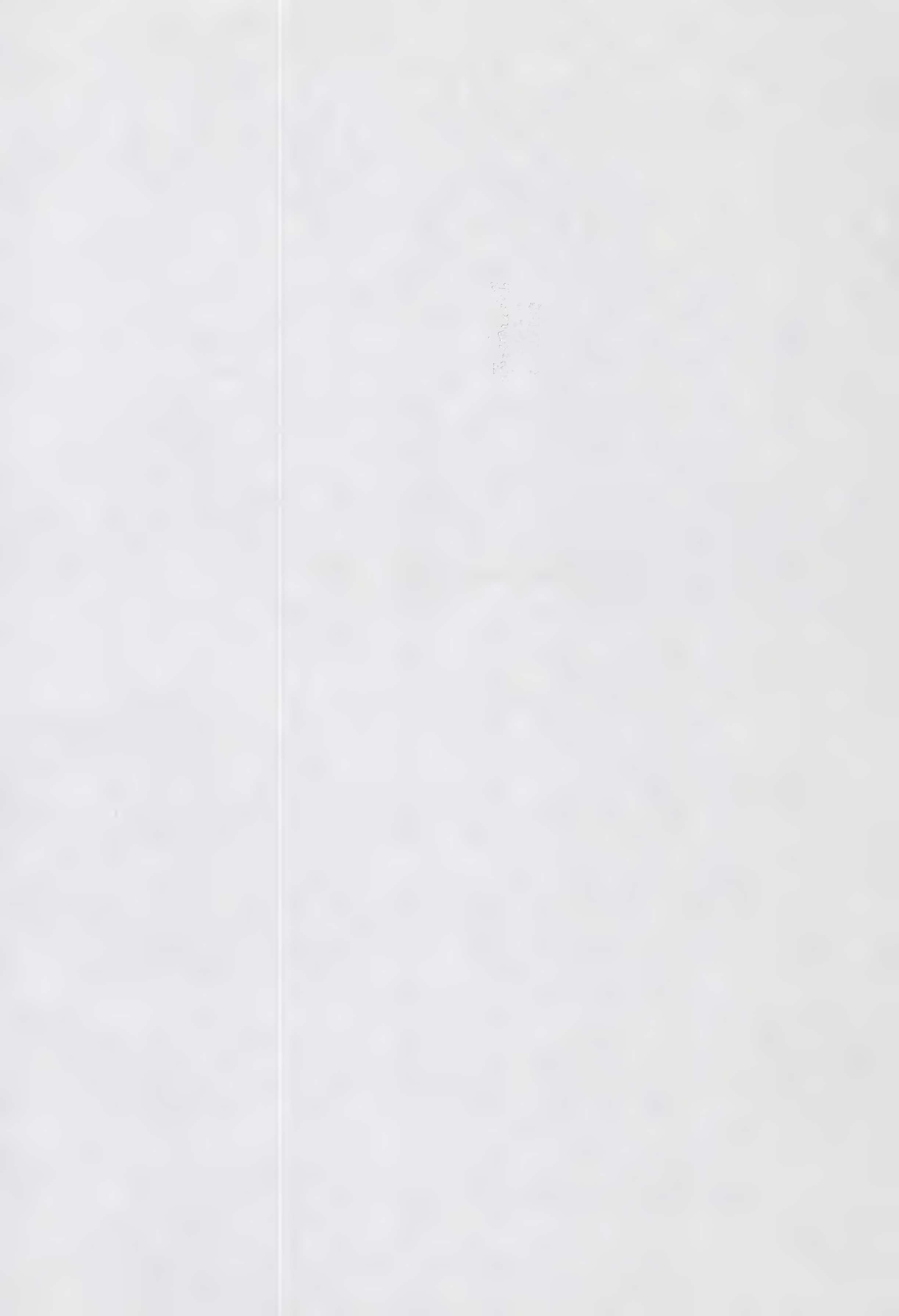
ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار.

س ١٤٣: ما معنى قول الطحاوي: " وأيقنا أن كلًا من عنده "؟.

ج: الإيقان: الاستقرار، من يقن الماء في الحوض: إذا استقر، والتنوين في "كلًا" بدل الإضافة، أي: كل كائن محدث من عند الله، أي: بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه. وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه، إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل



الإيمان بالرسل

س ١٤٤: علام عُطِف قول الإمام الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى.. "؟.

ج: قوله: "وإن محمداً" بكسر الهمزة عطفاً على قوله: " إن الله واحد لا شريك له "لأن الكل معمول القول، أعني: قوله: "نقول في توحيد الله".

س ١٤٥: بين فضل العبودية جملةً وفضلها لعبد الله محمد بن عبد الله ﷺ في ضوء قول الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى.. "؟.

ج: اعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية، ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦)﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾.

وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول

المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: "اذهبوا إلى محمد، عبد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

س ١٤٦: ما الطريقة المشهورة عند أهل الكلام في تقرير نبوة الأنبياء؟.

ج: الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر هي تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

س ١٤٧: بم تعرف نبوة الأنبياء؟.

ج: تعرف نبوة الأنبياء بالمعجزات وبدلائل عقلية أخرى كثيرة، وبقرائن أحواله وأفعاله.

س ١٤٨: هل لك بذكر بعض الدلائل والقرائن التي يعرف بها الصادق من الكاذب في دعوى النبوة؟.

ج: لا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعَرِّفُ بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آيات مبينةٌ
كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده.

بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب، لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عن الله كذاباً".

ولهذا قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشئ من المغيبات ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن مَلَك، وليسوا بأنبياء. ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد: " قد خبأت لك خبيئاً " وقال: الدخ قال له النبي ﷺ: "اخسأ فلن تعدو قدرك". يعني إنما أنت كاهن. وقد قال للنبي ﷺ: يأتيني صادق وكاذب. وقال: أرى عرشاً على الماء، وذلك هو عرش الشيطان، وبين أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقينياً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، أو علم النحو والطب والفقه وغير ذلك.

س ١٤٩: قال الشارح رحمه الله: "ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري " وضح هذا المعنى؟.

ج: النبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي

أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟!.

ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾.

وقد قيل: ما أسر الإنسان سريرةً إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن به من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله؟! كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!.

س ١٥٠: عدد أربعة من (الأدلة العقلية) على صدق الرسول ﷺ وما احتف برسالته من قرائن تدل على صدقه؟.

ج: ١ ـ قصته ﷺ مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، لما كانت تعلم من صدق النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: " إني خشيت على نفسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق ".

٢ ـ وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يُخبِر به، واستقرأهم القرآن فقرؤوه عليه: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة".

٣ ـ وكذلك ورقة بن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، كان ورقة قد تنصر وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: "أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى، فقال: هذا هو الناموس[1] الذي كان يأتي موسى".

---

(١) الناموس: صاحب السر، والمراد به جبريل عليه السلام.

٤ ـ وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفةٍ من قريش في تجارةٍ إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار:

١ - سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟.

فقالوا: لا.

٢ - قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟.

فقالوا: لا.

٣ - وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟.

فقالوا: نعم.

٤ - وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟.

فقالوا: ما جربنا عليه كذباً.

٥ - وسألهم: هل اتبعه ضعاف الناس أم أشرافهم؟.

فذكروا أن الضعفاء اتبعوه.

٦ - وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟.

فذكروا أنهم يزيدون.

٧ - وسألهم: هل يرجع أحدٌ منهم عن دينه سخطةً له بعد أن يدخل فيه؟.

فقالوا: لا.

٨ - وسألهم: هل قاتلتموه؟.

قالوا: نعم.

٩ - وسألهم: عن الحرب بينهم وبينه.

فقالوا: يُدَالُ علينا مرة، ونُدَالُ عليه أخرى.

١٠ - وسألهم: هل يَغْدِر؟.

فذكروا أنه لا يغدر.

١١ ـ وسألهم: بماذا يأمركم؟.

فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة، فقال:

١ ـ سألتكم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقلتم: لا.

قلت: لو كان في آبائه ملك، لقلت: رجل يطلب ملك أبيه.

٢ ـ وسألتكم: هل قال هذا القول فيكم أحدٌ قبله؟ فقلتم: لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحدٌ قبله، لقلت: رجلٌ ائتم بقولٍ قيل قبله.

٣ ـ وسألتكم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا.

فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب، فيكذب على الله.

٤ ـ وسألتكم: أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم.

وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم.

٥ ـ ثم قال: وسألتكم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: يزيدون.

وكذلك الإيمان حتى يتم.

٦ ـ وسألتكم: هل يرتد أحدٌ منهم عن دينه سخطةً له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا.

وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلاً ثم ينكشف.

٧ ـ وسألتكم: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول.

وكذلك الرسل تبتلى، وتكون العاقبة لها.

٨ ـ قال: وسألتكم: هل يغدر؟ فقلتم: لا.

وكذلك الرسل لا تغدر.

وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم، أنه تارةً ينصرهم وتارةً يبتليهم، وأنهم لا يغدرون، علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء، لينالوا درجة الشكر والصبر.

٩ ـ قال: وسألتكم: عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، ويأمركم بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي.

وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك، لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذٍ كافر من أشد الناس بغضاً وعداوةً للنبي ﷺ.

قال أبو سفيان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقناً بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله عليّ الإسلام وأنا كاره.

س ١٥١: في استدلال الناس على نبوة الأنبياء بقرائن أحوالهم وأفعالهم، ما يفيد أن ذلك يزيد بتظافر الأدلة، وضح ذلك؟.

ج: نعم، فما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان من شبع وري وشكر وفرح وغم بأمور مجتمعة، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب، ونحو ذلك.

س ١٥٢: مما يؤيد صدق الأنبياء أن الله أبقى بعض الآثار الدالة على صدقهم، اذكر بعض هذه الآثار؟.

ج: نعم، فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة.

* كتابوت الطوفان.

* وإغراق فرعون وجنوده.

* ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبياً بعد نبي في سورة الشعراء، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

وبالجملة، فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأن أقواماً اتبعوهم، وأن أقواماً خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم، وهو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها.

ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم، من ملوك الفرس، وعلماء الطب، كبقراط، وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وأتباعه.

س ١٥٣: نحن اليوم نعلم بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علماً يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة، اذكر هذه الوجوه؟.

ج: ١ ـ منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

٢ ـ ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم، وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون، وغرق قوم نوح، وبقية أحوالهم، عرف صدق الرسل.

٣ ـ ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن ما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة

الخلق على ما ينفعهم، ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

س ١٥٤: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تعالى، كيف يكون ذلك؟.

ج: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله، ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك، حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به، ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن حاجة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله، وأبطل شرائع أنبيائه، وبدلها، وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين.

فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك، وأحكم الحاكمين؟.

ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته، والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد، ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره ولم تطل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، فقطعوا دابره واستأصلوه، هذه سنة الله التي خلت من قبل.

س ١٥٥: ما الفروق بين النبي والرسول؟.

ج: ذكروا فروقاً بين النبي الرسول، وأحسنها:

* أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول.

* وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول[1].

فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

س ١٥٦: أوضح قول الشارح: "الرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"؟.

ج: نعم، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

س ١٥٧: إرسال الرسل وخصوصاً محمد بن عبد الله ﷺ من أعظم نعم الله على خلقه، ما الدليل على ذلك؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

س ١٥٨: ما الدليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ من الكتاب والسنة؟.

ج: الأدلة كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وقوله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، وترك منه

---

(١) ويُعرّف النبي والرسول بتعاريف منها:
النبي: إنسان، حر، ذكر، أوحى الله إليه بشرع سابق وأمر بتبليغه.
الرسول: إنسان، حر، أوحى الله إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه.

موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل"، خرجاه في الصحيحين.

وقال ﷺ: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمَيَّ، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي ". متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال رسول الله ﷺ: "وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي".

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون ".

س ١٥٩: ما معنى قول الطحاوي: "وإمام الأتقياء"؟.

ج: الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، وكل من اتبعه واقتدى به، فهو من الأتقياء.

س ١٦٠: استدل على قول الإمام الطحاوي في وصف المصطفى ﷺ: "وسيد المرسلين"؟.

ج: قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم.

وفي أول حديث الشفاعة: " أنا سيد الناس يوم القيامة ".

وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ".

س ١٦١: قال ﷺ: " لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله ". خرجاه في الصحيحين. وقال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر "، وهذا فيه إشكال، فكيف يجمع بينهما؟.

ج: ١ ـ أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم وقال: أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا!، فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا. لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس، كان مذموماً بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، وعلى هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ: "لا تفضلوا بين الأنبياء " إن كان ثابتاً، فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى، وهو في البخاري وغيره، لكن بعض الناس يقول: إن فيه علة بخلاف حديث موسى، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم.

٢ ـ وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو: أن قوله ﷺ: " لا تفضلوني على موسى"، وقوله: "لا تفضلوا بين الأنبياء "، نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر "، فإنه تفضيل عامٌ، فلا يمنع منه، وهذا كما لو قيل: فلان أفضل أهل البلد، لا يصعب على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل: لأحدهم: فلان أفضل منك.

وقد أجاب بهذا الطحاوي يرحمه الله في شرح معاني الآثار.

س ١٦٢: روي عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تفضلوني على يونس " وفسره

بعضهم، أن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت، كقرب النبي ﷺ من الله ليلة المعراج، بين الحق والصواب في ذلك؟.

ج: قال الشارح: أما ما يروى أن النبي ﷺ قال: " لا تفضلوني على يونس " وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالاً جزيلاً، فلما أعطوه، فسره بأن قرب يونس من الله، وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيراً عظيماً.

وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنى. فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يُعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: " لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ". وفي رواية: " من قال: إني خير من يونس بن متى، فقد كذب ".

وهذا اللفظ يدل على العموم، أي لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه. فمقام الذي أسري به إلى ربه، وهو مقرب معظم ليس كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب!، فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب.

فانظر إلى هذا الاستدلال بهذا المعنى المحرف للفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل.

س ١٦٣: لمَ نهى النبي ﷺ عن تفضيل العبد نفسه على يونس؟.

ج: الله تعالى أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه، فقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾، فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾،

كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم، قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾، وآخرهم وأفضلهم وخاتمهم وسيدهم: محمد ﷺ كان يقول في حديث الاستفتاح: "..وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي.." رواه مسلم.

وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: " أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد ".

فالله تعالى نهى أن يُفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم!، فلهذا قال: " لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى". فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفخر على يونس.

س ١٦٤: بم فسر الشارح قوله ﷺ: " من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب "؟.

ج: قال الشارح: وقوله: " من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب"، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير أنقص، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا، فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله.

س ١٦٥: لم أخبر الرسول ﷺ عن نفسه بأنه سيد ولد آدم؟.

ج: قال الشارح: وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله: "ولا فخر" كما جاء في رواية.

س ١٦٦ : قال الطحاوي: " وحبيب رب العالمين "، من المقصود، ولم أورد هذا القول؟.

ج: المقصود بذلك هو الرسول ﷺ ، فقد ثبت له أعلى مراتب المحبة، وأورده رداً على من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

س ١٦٧ : ما الدليل على ثبوت الخلة لنبينا محمد ﷺ ؟.

ج: صح عنه ﷺ أنه قال: " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"، وقال: " ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن ". والحديثان في الصحيح. وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

وفي الصحيح أيضاً: " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ".

فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم، والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة.

س ١٦٨ : يستدل من يثبت الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ بما رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي قال فيه: " إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ".

ج: هذا حديث ضعيف لا يثبت، ولا يستدل به في باب العقائد.

س ١٦٩ : ما أعلى مراتب المحبة؟ ولمن ثبتت؟.

ج: أعلى مراتب المحبة، الخلة، وثبتت لإبراهيم عليه السلام ولمحمد ﷺ.

س ١٧٠ : ما مراتب المحبة؟.

ج: للمحبة مراتب:

أولها: العَلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه، وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط، الذي يخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التتيّم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التّعبد.

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، يعرف حسنه بالتأمل في معانيه.

س ١٧١: هل يوصف الرب تعالى بالعشق؟ وهل يوصف به العبد في محبة ربه، ولم؟.

ج: لا يوصف الرب تعالى بالعشق، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم. واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

س ١٧٢: هل يوصف الرب تعالى بالمحبة والخلة؟.

ج: قال الشارح: واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة، هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة، والود، والمحبة، والخلة، حسبما ورد النص.

س ١٧٣: ما حد المحبة؟.

ج: اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً. ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع، ونحو ذلك.

س ١٧٤: لم كانت كل دعوة بعد النبي ﷺ غيّ وهوى؟ وما الغي والهوى؟.

ج: لَمّا ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب.

والغيّ: ضد الرشاد.

والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة.

س ١٧٥: لو جاء المدعي للنبوة ـ بعد النبي ﷺ ـ بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟.

ج: نقول: هذا لا يتصوّر أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة، ولا تظهر أمارة كذبه في دعواه.

س ١٧٦: قال الطحاوي: " وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى. . " ما الدليل على ذلك؟.

ج: الدليل عليه، قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾.

وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً.

س ١٧٧: ما صحة قول مقاتل: لم يبعث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبل الرسول ﷺ؟.

ج: هذا قول بعيد، فقد قال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾. ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾.

س ١٧٨: هل في الجن رسل، أم الرسل من الإنس فقط؟.

ج: الرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر. وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾. يدل على أن موسى مرسل إليهم أيضاً. والله أعلم.

س ١٧٩: يستدل من قال إن في الجن رسلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، فما جوابك؟.

ج: في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن في الجن رسلاً، نظر، لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي ـ والله أعلم ـ كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾. والمراد من أحدهما.

س ١٨٠: ما الدليل على بعثة النبي ﷺ إلى كافة الورى وجميع الناس؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾.

ـ وقوله ﷺ: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة". أخرجاه في الصحيحين.

ـ وقوله ﷺ: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " رواه مسلم.

س ١٨١: يزعم بعض النصارى أن الرسول ﷺ أرسل إلى العرب خاصة. فبم يرد عليهم؟.

ج: قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة، ظاهر البطلان، فإنهم لما صدّقوا بالرسالة، لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتماً، فقد أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

س ١٨٢: ما إعراب "كافة" في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾؟.

ج: اختلفوا في إعرابها على ثلاثة أقوال:

١ ـ أحدها: أنها حال من "الكاف " في "أرسلناك" وهي اسم فاعل، والتاء فيها للمبالغة، أي: إلا كافاً للناس عن الباطل.

وقيل: هي مصدر "كف" فهي بمعنى كفاً، أي: إلا أن تكف الناس كفاً، ووقوع المصدر حالاً كثيرٌ.

٢ ـ الثاني: أنها حال من " الناس"، واعترض بأن حال المجرور لا يتقدم عليه عند الجمهور، وأجيب بأنه قد جاء عن العرب كثيراً، فوجب قبوله، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله، أي: وما أرسلناك إلا للناس كافة.

٣ ـ أنها صفة لمصدر محذوف، أي: إرسالةً كافة، واعترض بما تقدم أنها لم تستعمل إلا حالاً.

س ١٨٣: ما معنى قول الطحاوي: " بالحق والهدى، وبالنور والضياء "؟.

ج: هذه أوصاف ما جاء به النبي ﷺ من الدين والشرع، المؤيد بالبراهين الباهرة، من القرآن وسائر الأدلة. والضياء: أكمل من النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾.

☆ ☆ ☆

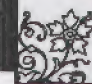


الفصل الخامس

القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق



القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق



س ١٨٤: ما المعتقد الحق الذي دلت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة، والعقل والفطرة، في القرآن الكريم؟.

ج: المعتقد الحق الذي قال به أهل السنة في القرآن الكريم، ما ذكره الإمام الطحاوي بقوله: " وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله تعالى، وعابه، وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦)﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥)﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر ".

س ١٨٥: افترق الناس في مسألة كلام الله تعالى على أقوال، اذكرها؟.

ج: افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

١ ـ أحدها: قول الصابئة والمتفلسفة: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعال[1] عند بعضهم، أو من غيره.

---

(١) العقل الفعال: عند بعض الفلاسفة؛ حركة من حركات بعض الأفلاك صدر عنها فلك القمر ونفسه والعناصر التي تحته، مع اختلاف أنواعها وصفاتها وأقدارها، وقد يطلقه بعضهم على جبريل عليه السلام. انظر (درء تعارض العقل والنقل ٢٥٣/٩، ٢١٨/١٠)

٢ ـ وثانيها: قول المعتزلة: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه.

٣ ـ وثالثها: قول الكلابية والأشاعرة: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية، كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية، كان توراةً.

٤ ـ ورابعها: قول طائفة من أهل الكلام، ومن أهل الحديث: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

٥ ـ وخامسها: قول الكرّامية: أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً.

٦ ـ وسادسها: قول أبي البركات صاحب "المعتبر" والرزاي: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته.

٧ ـ وسابعها: قول الماتريدية: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته، هو ما خلقه في غيره.

٨ ـ وثامنها: قول أبي المعالي ومن تبعه: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

٩ ـ تاسعها: قول أئمة الحديث والسنة: أنه تعالى لم يزل متكلماً، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يُسمعُ، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً. وهذا ما دل عليه كلام الله وسنة رسوله، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

س ١٨٦: لمَ كسر الشيخ الهمزة في قوله: "وإن القرآن كلام الله"؟.

ج: قول الشيخ رحمه الله: وإن القرآن كلام الله، "إن" بكسر الهمزة عطف على قوله: إن الله واحد لا شريك له، ثم قال: وإن محمداً عبده المصطفى وكسر همزة إن في هذه المواضع الثلاثة، لأنها معمول القول، أعني قوله في أول كلامه: نقول في توحيد الله.

س ١٨٧: ما فائدة قول الإمام الطحاوي: "كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً"؟.

(ج): هذا رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يَبْدُ منه، كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله، يحرفون الكلم عن مواضعه، وقولهم باطل.

(س ١٨٨ :) زعمت المعتزلة أن القرآن مخلوق، وإنما يضاف إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، فبم يُرد عليهم؟.

(ج): هذا تحريف للكلم عن مواضعه، وهو قول باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى، معان، وأعيان.

فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله وناقة الله. بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

(س ١٨٩ :) من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ وعلام استدل به، ولم؟.

(ج): استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة، على كلام الله تعالى. رداً على المعتزلة، فالوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾. فكان عباد العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾. فعلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكلم، نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

(س ١٩٠ :) ما أهم شبهة تحتج بها المعتزلة على نفي كلام الرب تعالى، وبم يرد عليهم؟.

(ج): غاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم من الكلام التشبيه والتجسيم.

فيقال لهم: إذا قلنا: إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله، انتفت شبهتهم،

ألا ترى أنه قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾. فنحن نؤمن أنها تتكلّم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وكذلك تسبيح الحصى والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة، المعتمد على مقاطع الحروف.

س ١٩١: ما معنى قول الإمام الطحاوي: " منه بدا بلا كيفية قولاً " وإلامَ أشار بقوله هذا؟.

ج: أشار بقوله هذا إلى إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله.

ومعنى قوله: منه بدا بلا كيفية قولا، أي ظهر منه، ولا يدرى كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: "قولاً " أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!.

س ١٩٢: في أي سياق أورد الشارح رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؟.

ج: أورد هذه الآية في سياق إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق به والرد على المعتزلة. قال الشارح: ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكلّمَ اللهَ موسى، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، فبهت المعتزلي!.

س ١٩٣: ما الأدله من الكتاب والسنة على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل

جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨)﴾، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره عليهم في ديارهم" رواه ابن ماجه[1] وغيره.

ففي الحديث إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحداً!.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، فأهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواءً، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث[2]. فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلا به.

س ١٩٤: من استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ وعلى ماذا استدل به، ولم؟.

ج: استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله

---

(١) إسناده ضعيف، وفي سنده أبو عاصم العباداني لين الحديث كما في التقريب.

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك... " الحديث.

تعالى، ورداً على المعتزلة الذين ينفون هذه الصفة.

وفي الآية بيان أن الله أهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواءً، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

س ١٩٥: من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وعلام يستدل بها؟.

ج: تستدل المعتزلة بهذه الآية على نفي صفة الكلام، والقول بخلق القرآن.

قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل(١) وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٩٦: لم استدل أهل السنة والجماعة بقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾؟.

ج: استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل لإثبات صفة الكلام. رداً على المعتزله الذين نفوا هذه الصفة عن الخالق تعالى.

---

(١) انظر تعريفه، ص ٤٠.

قال الشارح عند إيراد الآية: إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٩٧: من الذي قال في صفة الكلام: أن الله تعالى متكلم بكلام يقوم بغيره، وبم يرد عليه، وما خطورة هذا القول؟.

ج: قالت المعتزلة هذا القول لتنفي صفة الكلام عن الله تعالى، وتقول بخلق القرآن، وأنه مخلوق خلقه الله في غيره. وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك، للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذٍ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، زوراً كان أو كذباً، أو كفراً، أو هذياناً!! تعالى الله عن ذلك، وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصيراً، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

س ١٩٨: كيف ألزم الإمام عبد العزيز المكي من قال: إن القرآن مخلوق في أي شيء من مخلوقاته، أو هو قائم بغيره من مخلوقاته؟.

ج: ألزم الإمام عبد العزيز المكي بشراً المريسي بين يدي المأمون، بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟.

فقال بشر: اسأل أنت، وطمع فيَّ.

فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث، لابد منها:

١ ـ إما أن تقول: إن الله خلق القرآن في نفسه.

٢ ـ أو خلقه قائماً بذاته ونفسه.

٣ ـ أو خلقه في غيره؟.

قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها. وحاد عن الجواب.

فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشراً، فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال، لأن الله لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون منه شيء مخلوقاً.

وإن قال: خلقه في غيره، فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره، فهو كلامه.

وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال، لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، علم أنه صفة لله.

س ١٩٩: استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على القول بخلق القرآن، رد هذا القول؟.

ج: قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما

يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعموم "كل" في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾، ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك لأن المراد: تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادةً، وما يستحق التدمير، وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله تعالى، فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى، بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مخلوقاً، لا يصلح أن يكون دليلاً.

س ٢٠٠: تستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، على القول بخلق القرآن، وتقول: جعلناه، أي خلقناه، فند هذا القول؟.

ج: أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فما أفسده من استدلال!.

١ ـ فإن "جعل" بمعنى "خلق" يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

٢ ـ وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى "خلق" قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ ونظائره كثيرة، فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

س ٢٠١: من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، مع بيان القول الصحيح الحق؟.

ج: تستدل المعتزلة بها على أن القرآن مخلوق، ويستدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وما أفسد استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة، فسمعه موسى منها!، وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والنداء: هو الكلام من بعدٍ، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون "من البيت" لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهل قال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ غير رب العالمين؟.

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله، لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ

ﭐلۡأَعۡلَىٰ ﴾ صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله!.

س ٢٠٢: ما قول المعتزلة إذا أُلزموا بقوله تعالى، حكاية عن فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾، أن فرعون لم يقل باطلاً على مذهبكم في الكلام وقيامه بغير الله كخلقه في الشجرة، إذ كل من الكلامين مخلوق قاله غير الله؟.

ج: نعم هذا إلزام لهم، لكنهم فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله. وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.

س ٢٠٣: مما تستدل به المعتزلة على القول بخلق القرآن، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه. فبم تجيب؟.

ج: الجواب عن ذلك من عدة أوجه:

١ ـ قيل: ذكر الرسول معرِّف أنه مبلغ عن مرسله، لأنه لم يقل: إنه قول مَلَكٍ أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنشأه من جهة نفسه.

٢ ـ وأيضاً: فالرسول في إحدى الآيتين جبريل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

٣ ـ وأيضاً: فقوله: رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

٤ ـ وأيضاً: فإن الله كفر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعل قول محمد بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو جني، أو مَلَك، والكلام كلام من قاله مبتدئاً لا من قاله مبلغاً. ومن سمع قائلاً يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكذبه. ولهذا من سمع من غيره نظماً أو نثراً، يقول له: هذا كلام من؟ أهذا كلامك أو كلام غيرك؟.

س ٢٠٤: هل اتفق أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: وبالجملة فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات أم أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً إذا شاء، ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم[1].

س ٢٠٥: ما مراد بعض المعتزلة إذا أطلقوا أن القرآن غير مخلوق؟.

ج: قد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتفٍ باتفاق المسلمين.

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة سُئِلُوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترى مما لا ينازع فيه مسلم في بطلانه.

---

(١) هذا قول مرجوح، والحق فيما قاله سلف هذه الأمة وإليه أشار الشارح بقوله: " لم يزل متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".

س ٢٠٦: ما مصدر التلقي عند أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، في باب العقائد؛ التوحيد والصفات والقدر؟.

ج: قال الشارح: ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه من كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع.

ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه، فرق بها بينهم:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

س ٢٠٧: ما معتقد الإمام أبي حنيفة في القرآن؟.

ج: قال الشارح: والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة ﷺ في "الفقه الأكبر" فإنه قال: والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وما ذكره الله في القرآن حكايةً عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله إخبار عنهم، كلام الله غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى: فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا. انتهى.

س ٢٠٨: ماذا يفهم من قول الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: ولما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو صفاته؟.

ج: قال الشارح: فقوله: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته. يعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً

يقول: يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه: أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره.

س ٢٠٩: على من رد الإمام بقوله: كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل؟.

ج: هذا رد على من يقول: إنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلماً.

س ٢١٠: تقول بعض الفرق شيئاً من الحق وتخلطه بباطل في مسألة الكلام، فما موقف السُّنّي من ذلك؟.

ج: قال الشارح: وبالجملة: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فهو حق يجب قبوله.

وما يقول به من يقول: إن كلام الله قائم بذاته[1]، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.

س ٢١١: كيف يُرد على من قال لمن أثبت صفة الكلام لله: يلزم أن تكون الحوادث قامت به؟.

ج: إذا قالوا لنا: يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضاً مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس، وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يُفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي

---

(١) هذا قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية.

أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى"، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه، لوجب بيانه، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره، وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذراً من التشبيه فلا يثبتوا صفةً غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا. قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات. وهل يعقل قادر لا تقوم به القدرة، أو حي لا تقوم به الحياة. ؟!.

س ٢١٢: من الذي استدل بقول النبي ﷺ: " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر " وعلام استدل به؟.

ج: استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل وهو قوله ﷺ: " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر " على إثبات صفة الكلام لله تعالى فهل يقول عاقل: إنه ﷺ عاذ بمخلوق! بل هذا كقوله ﷺ: " أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك " وكقوله: " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ". وكقوله: " وأعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا ". كل هذه من صفات الله تعالى، وهذه المعاني مبسوطة في مواضعها، وإنما أشير إليها هنا إشارة.

س ٢١٣: ما قول كثير من متأخري الحنفية في كلام الله، وبماذا رد الإمام الشارح قولهم؟.

ج: قال الشارح: وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل، في الدلالات لا في المدلول، وهذه العبارات مخلوقة، وسميت " كلام الله " لدلالتها عليه، وتأديه بها، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام.

قالوا: وتسمى هذه العبارت كلام الله مجازاً.

وهذا كلام فاسد، فإن لازمه أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ هو معنى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين! ومعنى سورة الإخلاص هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ وكلما تأمل الإنسان هذا القول، تبين له فساده وعلم أنه مخالف لكلام السلف.

والحق أن التوراة والإنجيل والزبور من كلام الله حقيقةً، وكلام الله لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك. قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾. ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولو كان ما يقرؤه القارئ ليس كلام الله، لما حرم على الجنب قراءة القرآن.

س ٢١٤: قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر": كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف. بين هذا القول؟.

ج: نعم هو في هذه المواضع كلها حقيقة.

وإذا قيل: المكتوب في المصحف كلام الله، فهم منه معنى حقيقي.

وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابته، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: المداد في المصحف، كانت الظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قول القائل: فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى، ونحو ذلك. وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه خط فلان الكاتب، وهذه المعاني الثلاثة مغايرة لمعنى قول القائل: فيه كلام الله. ومن لم ينتبه للفروق بين هذه المعاني، ضل، ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، ومن لم يهتد له فهو ضال أيضاً، ولو أن إنساناً وجد في ورقة مكتوباً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

من خط كاتب معروف لقال: هذا كلام لبيد حقيقة، وهذا كلام فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا حبر حقيقة، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسومٌ، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها.

س ٢١٥: ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون، هل يعني هذا أنه أنزل على أولئك؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ذهن ولا لسان، والفرق بين كونه في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون: واضح.

فقوله عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ أي: ذكره ووصفه والإخبار عنه، إذ القرآن أنزله الله على محمد، ولم ينزله على غيره أصلاً، ولهذا قال: "في الزبر" ولم يقل في المصحف، ولا في الرَّق، لأن " الزبر" جمع "زبور" و " الزَّبْرُ " هو: الكتابة والجمع، فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾، أي: مزبور الأولين، ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد، ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس، وهذا مثل قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أي ذكره بخلاف قوله: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣﴾ أو ﴿لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أو ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة، مثل الكون والاستقرار والحصول ونحو ذلك، أو يُقدَّر: مكتوب في كتاب، أو في رقٍّ.

والكتاب: تارةً يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب، ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه، فإن تلك إنما يُكتب ذكرها، وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى، وضح له الفرق.

س ٢١٦: ما حقيقة كلام الله تعالى الخارجية، عندما يسمعه السامع، أو يقرؤه القارئ، أو يكتبه الكاتب؟.

ج: حقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يُسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسومٌ، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها، لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه عن مبلغه عن الله.

والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة.

ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة،وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً.

س ٢١٧: على من رد الطحاوي بقوله عن كلام الله: " منه بدا "؟.

ج: رد الطحاوي بقوله هذا على من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوي رحمه الله يقول: كلام الله منه بدا. وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون منه بدا وإليه يعود.

وإنما قالوا: منه بدا، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدا الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: "منه بدا " أي: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾.

س ٢١٨: ما معنى قول السلف في القرآن: ". . وإليه يعود "؟.

ج: معنى قول السلف وإليه يعود: أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار[1].

س ٢١٩: لم قال الطحاوي في القرآن وأنه بدا من الله: " بلا كيفية "؟.

ج: قول الطحاوي يرحمه الله: " بلا كيفية " أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز.

س ٢٢٠: ما معنى قول الإمام الطحاوي: " وأنزله على رسوله وحياً "؟.

ج: أي: أنزله إليه على لسان المَلَك، فسمعه المَلَكُ جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من المَلَكِ، وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

س ٢٢١: يحتج من ينفي صفة العلو لله تعالى، وإنزال القرآن من الله العلي، في كثير من الآيات أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، وإنزال الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام. فكيف الجواب؟.

ج: ١ - أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه من الله، قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقال

---

(١) روى ابن ماجه بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية.. " الحديث، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، قاله الحاكم ووافقه الذهبي.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

٢ ـ وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ والسماء العلو، وقد جاء في مكان آخر: أنه منزل من المزن، والمزن السحاب، وفي مكان آخر: أنه منزل من المعصرات.

٣ ـ وإنزال الحديد والأنعام مطلقٌ، فكيف يشتبه هذا الإنزال بهذا الإنزال، وهذا الإنزال بهذا الإنزال؟! فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إنه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود، والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم ينزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفل، وعلى هذا فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾ وجهين:

أحدهما: أن تكون "من" لبيان الجنس.

الثاني: أن تكون "من" لابتداء الغاية، وهذان الوجهان يُحتَملان في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾.

س ٢٢٢: إلى أي شيء أشارالطحاوي بقوله: " وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً"؟.

ج: الإشارة إلى ما ذكره من التكلم به على الوجه المذكور وإنزاله، أي: هذا قول الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

س ٢٢٣: على من رد الطحاوي بقوله: " وأيقنوا أنه كلام الله تعالى على الحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية "؟.

ج: رده على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر.

وفي قوله بالحقيقة، رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله[1] لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد " أخرس" لكن عندهم أن المَلَكَ فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام كالهواء الذي هو دون المَلَكِ هذه العبارة.

س ٢٢٤: وضح لنا قول الأشاعرة: أن كلام الله معنىً واحداً قائماً بالذات، ثم بين فساد قولهم؟.

ج: قولهم عن القرآن إنه معنى قام بذات الله لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد " أخرس" لكن عندهم أن المَلَكَ فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام

---

(١) هذا قول الأشعرية والماتريدية.

كالهواء الذي هو دون المَلَكِ هذه العبارة.

١ ـ ويقال لمن قال: أنه معنى واحد: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه؟.

فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله! وفساد هذا ظاهر.

وإن قال: بعضه، فقد قال: يتبعَّض، وكذلك كل من كلمه الله، أو أنزل إليه شيئاً من كلامه.

٢ ـ ولما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولما قال لهم: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟.

فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة.

وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعدده، فبطل بذلك قوله: أنه معنى واحد قائم بالرب.

س ٢٢٥: ما مذاهب الناس في مسمى الكلام والقول عند الأطلاق؟.

ج: للناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق: أربعة أقوال:

١ ـ أحدها: قول السلف، أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن معاً.

٢ ـ الثاني: قول جماعة من المعتزلة وغيرهم، أنه اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

٣ ـ الثالث: قول الكلابية، أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، لأنه دال عليه.

٤ ـ الرابع: قول بعض المتأخرين من الكلابية: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى وللكلابية قول ثالث: أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين.

س ٢٢٦: من الذي يستدل بقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وعلام استدل به؟ ثم بين تهافت وفساد هذا الاستدلال؟.

(ج): تستدل بهذا القول الأشاعرة وغيرهم ممن زعموا أن الكلام معنى واحد، وهذا قول فاسد.

١ ـ ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه، وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه مصنوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!.

٢ ـ وقيل: إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد. وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه، فلا يجوز الاستدلالُ به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس! أَفَيُسْتَدلّ بقول نصرانيّ قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب!.

٣ ـ وأيضاً: فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً، لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، ولم يسمع منه. والكلام على ذلك مبسوط في موضعه.

(س ٢٢٧:) ما وجه الشبه بين قول النصارى في اللاهوت والناسوت، وبين قول من قال: إن كلام الله هو المعنى القائم بذات الله لايمكن سماعه؟.

(ج): قال الشارح: وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وإنما النظم المسموع مخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام.

فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!.

(س ٢٢٨:) رد على من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، بأدلة شرعية من السنة؟.

(ج): يردُّ قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله ﷺ:

١ ـ " إن صلاتنا هذه لايصلح فيها شيء من كلام الناس ".

٢ ـ وقال: " إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة ". واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها، بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب، لا يُبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

٣ ـ وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به "، فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

٤ ـ وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ".

فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ " القول" و " الكلام " وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى.

س ٢٢٩: متى حصل النزاع في مسمى الكلام؟.

ج: لم يكن في مسمى " الكلام" نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

س ٢٣٠: من زعم أن كلام الله معنىً واحد قائمٌ بنفسه، فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر! أوضح هذا المعنى؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائمٌ بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر،

فإن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أَفتَرَاه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع؟ ولا شك أن الأشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

س ٢٣١: هات دليلاً من القرآن على إبطال قول من قال: إن كلام الله هو معنى واحد قائم بنفس الرب..؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع؟ ولا شك أن الأشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا، فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشئ مثله وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتو بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي في - زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف، وليس القرآن إلا سوراً مسوّرة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة. قال تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾. ويكتب لمن قرأه بكل حرف منه عشر حسنات،

قال ﷺ: " أما إني لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ". وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين.

س ٢٣٢: ما حكم من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية؟.

ج: قال الشارح: وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه، فقد رجع عنه، وقال: لا تجوز القراءة مع القدرة بغير العربية.

وقالوا: لو قرأ بغير العربية، فإما أن يكون مجنوناً فيداوى، أو زنديقاً فيقتل، لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه.

س ٢٣٣: بين قول الطحاوي: " ومن سمعه، وقال: إنه كلام البشر، فقد كفر"؟.

ج: لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، مَلَكاً كان أو بشراً، وأما إذا أقر أنه كلام الله، ثم أوّل وحرّف، فقد وافق قول من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله " إن شاء الله تعالى.

س ٢٣٤: لم قال الإمام الطحاوي عن القرآن: " ولا يشبه قول البشر "؟.

ج: لأنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غيرُ ذي عوجٍ بلسان عربي مبين، أي: باللغة العربية.

فنفي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف. وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي: أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآيـة. ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآيـة. ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾، وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به، وسماع جبريل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إلى نفي الصفات. وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ ولم يقل بحرف أو بكلمة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف ومحمد الشيباني صاحبا أبي حنيفة رحمهما الله: إن أدنى ما يجزي في الصلاة ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة، لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك. والله أعلم.

س ٢٣٥: ما حكم من وصف الله بمعنى من معاني البشر؟.

ج: قال الإمام الطحاوي: " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ".

س ٢٣٦: ماذا أفاد قول الإمام الطحاوي: " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر "؟.

ج: أفاد أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفياً للتشبيه عقيب الإثبات، يعني: أنه تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلماً، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل، باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل، ودم التشبيه، والمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً. ويأتي في كلام الشيخ: " ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه " وكذا قوله: " وهو بين التشبيه والتعطيل " أي: دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، لما سأذكره إن شاء الله تعالى.

وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً، بل صفات الخالق كما يليق به.

وقوله: " فمن أبصر هذا اعتبر " أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيد المشبهة، اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

☆ ☆ ☆

الفصل السادس

الرؤية





الرؤية

س ٢٣٧ : من الذي أنكر رؤية أهل الجنة لربهم تعالى، ومن الذي أثبتها؟.

ج: أنكرت الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

س ٢٣٨ : ما منزلة مسألة الرؤية من الدين؟.

ج: هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.

س ٢٣٩ : ما أظهر دليل يستدل به أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية، وما موقف من نفاها، منه ومن غيره؟.

ج: ذكر الطحاوي رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص، ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

س ٢٤٠: ماذا جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله، ولماذا ذكره الشارح؟.

ج: هذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه والحرَّة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!.

وذكره الشارح ليبين خطر هذا النهج الفاسد في تأويل النصوص بلا دليل لما ذكر مسألة الرؤية وتأويل أهل البدع لها بلا دليل، من نقل أوعقل.

س ٢٤١: ماذا قالت المعتزلة وأهل التحريف في استدلال المثبتين للرؤية في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾؟.

ج: قالوا بعدم الرؤية، وأولوا الآية بلا دليل، فقالوا: المعنى منتظرة ثواب ربها؟! فنفوا ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله وما أجمعت عليه الأمة.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة " إلى " الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

س ٢٤٢: للنظر عدة استعمالات في القرآن ما هي، وفي أي سياق ذكرها الشارح يرحمه الله؟.

ج: للنظر عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

١ ـ فإن عدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

٢ ـ وإن عدي بـ " في "، فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ وإن عدي بـ " إلى " فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾. فكيف إذا أضيف الى الوجه الذي هو محل البصر!.

وقد أوردها المؤلف في سياق الرد على أهل البدع، لما أنكروا الرؤية، وزعموا أن الآية تعني الانتظار، فأوضح أن الآية تعني النظر لأنها عُديت بإلى.

س ٢٤٣: هل لك أن تذكر بعض كلام السلف في إثبات الرؤية؟.

ج: ١ ـ روى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ ـ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ ـ قال: من البهاء والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: في وجه الله ﷻ.

٢ ـ عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فَنُظِّرَت بنوره.

٣ ـ وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ.

٤ ـ وقال عكرمه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ ـ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

س ٢٤٤: استدل ببعض الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية؟.

ج: ١ ـ قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾. قال الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن

ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة ".

وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، وروى ابن جرير ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة. ذكر الطبري وغيره عن المزني، عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فقال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وهي من أظهر الأدلة على إثبات الرؤية، وقد سبق الكلام عليها آنفاً.

س ٢٤٥: اذكر آية واحدة تحتج بها المعتزلة وأهل البدع على نفي الرؤية، من القرآن الكريم؟.

ج: يحتجون بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾، والآية دليل عليهم واستدل بها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوحٌ عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولم يقل: إني لا أُرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر، فظنه رجلٌ طعاماً، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح:

إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم (المعتزلة) سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يَسمَع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأبيد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾. فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

س٢٤٦: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وعلامَ استدل بها؟ فصل القول في ذلك؟.

ج: استدلت بها المعتزلة على نفي رؤية الله في الآخرة، واستدل بها أهل السنة والجماعة على رؤيته تعالى في الآخرة. والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بأذنه المتضمن كمال توحّده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذن: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما وجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك، كما يُعلم ولا يُحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

س ٢٤٧: ما صحة أحاديث الرؤية التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثباتها، واذكر بعضاً منها؟.

ج: الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الدالة على الرؤية، متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن. فمنها:

١ ـ حديث أبي هريرة ﷺ: "أن أناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك". الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله. وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في الصحيحين نظيره.

٢ ـ وحديث جرير بن عبد الله البجلي، قال: "كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته". الحديث أخرجاه في الصحيحين. وحديث صهيب ﷺ المتقدم، رواه مسلم وغيره.

٣ ـ ومن حديث عدي بن حاتم ﷺ: "وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى يا رب" رواه البخاري.

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفةً يقطع بأن الرسول ﷺ قالها.

س ٢٤٨: كيف يقف المسلم على الصفات الإلهية؟.

ج: من أراد الوقوف عليها فليواضب، سماع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق.

س ٢٤٩: كيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام، مع الاستدلال؟.

ج: قال الشارح: وكيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله! وكيف يُفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسول الله ﷺ وأصحاب رسوله، الذين نزل القرآن بلغتهم! وقد قال ﷺ: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، وفي رواية: "من قال في القرآن بغير

علم فليتبوأ مقعده من النار". وسئل أبو بكر الصديق ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

س ٢٥٠: يزعم من ينفي الرؤية أن الأحاديث التي أثبتت الرؤية فيها تشبيه، ويزعم من أثبتها أنه يرى لا في جهة، فبم يُرد عليهم؟.

ج: ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن في هذا دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة!!، فليراجع عقلـه، فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو أن يكون في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمه.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة؟.

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها، ضعف عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية المَلَكِ في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلوا أنزلنا إليه ملكاً، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذٍ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو مَلَك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا.

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكن قول من أثبت موجوداً يرى لا في جهة، أقرب إلى العقل

مِن قول من أثبت موجوداً قائماً بنفسه لا يُرى ولا في جهة.

س ٢٥١: بم يرد على من نفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة؟.

ج: يقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟.

فإن أردت بها أمراً وجودياً، كان التقدير:

كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يُرى، وليس العالم في عالم آخر، وإن أردت بالجهة، أمراً عدمياً، كانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه في جهة بهذا الاعتبار.

س ٢٥٢: من هم الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة وما حكم ذلك؟.

ج: الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة هم أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم، وقد حكموا العقل وأئمتهم من أهل البدع بدلاً من النصوص الشرعية فضلوا وأضلوا، وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان!، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث رسول الله ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه. ومن لا يسلك سبيلهم، فإنه يتكلم برأيه، وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة، فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف له أجره.

س ٢٥٣: لم خصص الإمام الطحاوي أهل الجنة بالرؤية في قوله: "والرؤية حق لأهل الجنة "؟.

ج: تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم نفي الرؤية عن غيرهم، ولا شك في

رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾.

س ٢٥٤: هل يرى أهل المحشر ربهم تعالى ؟.

ج: اختلف في رؤية أهل المحشر لربهم تعالى، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

الثاني: يراه أهل الموقف؛ مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقيه الكفار. وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

س ٢٥٥: هل رأى أحد من الناس ربه في الدنيا بعينيه؟.

ج: اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة.

س ٢٥٦: اذكر الأقوال في رؤية محمد ﷺ ربه في الدنيا؟.

ج: اختلف الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفا" اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ رأى ربه بعينه، وروى عطاء عنه: رآه بقلبه، ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال:

وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطعٌ ولا نصّ، والمعوَّلُ فيه على آية النجم، والتنازع فيها مأثور، والاحتمال لها ممكن.

س ٢٥٧: هل رؤية الرب تعالى ممكنة في الدنيا؟.

ج: القول الذي ذكره القاضي عياض آنفاً بقوله: فليس فيه قاطع. . . إلخ.

هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنه، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه رأى ربه بعين رأسه.

س ٢٥٨: ما القول الراجح في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا؟.

ج: لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه. بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في "صحيحه":

١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: " نور أنى أراه ". وفي رواية: " رأيت نوراً ".

٢ ـ وقد روى مسلم أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: " إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ".

فيكون ـ والله أعلم ـ معنى قوله لأبي ذر: " رأيت نوراً ": أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: " نور أنى أراه ": النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه! أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى، فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها ألبته.

س ٢٥٩: لم قيد الطحاوي الرؤية بقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية "؟.

(ج:) قيد الرؤية بقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية " لكمال عظمته وبهائه سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

(س ٢٦٠:) قال الطحاوي يرحمه الله: ". . لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا "، ما مقصود الإمام بالعبارة السابقة، وعلى من رد بها؟.

(ج:) مقصوده بها إثبات نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة كالرؤية والعلو وغيرها، وتفسيرها على ما أراد الله وعَلِمَه، وكل ما جاء عن رسول الله ﷺ وصح، فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه.

فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له.

فكل تأويل بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه، إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحدٍ، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم.

(س ٢٦١:) ما الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم؟ ولِمَ ذكر الشارح هذه الطرق؟.

(ج:) يعرف مراد المتكلم بطرق متعددة:

١ ـ منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى.

٢ ـ منها: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حف كلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾. و"إنكم ترون ربكم عياناً، كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب". فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة، كان صادقاً في إخباره. وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه، ولا اقترن به ما يدل عليه، فإخباره بأن هذا مراده كذبٌ عليه، وهو تأويل بالرأي، وتوهم بالهوى.

وذكر الشارح هذه الطرق ليرد على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين أنكروا الصفات أو بعضها، ولم يردوا ما جاء عن الله ورسوله إلى ما أراد الله ورسوله، ودخلوا في ذلك متأولين بآرائهم متوهمين بأهوائهم، فأبان بهذه الطرق أن التأويل لنصوص الكتاب والسنة لم يدل عليه دليل من السياق، وليس معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده الهادي بكلامه، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحدٍ، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم. ثم أورد الشارح يرحمه الله الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم.

س ٢٦٢: ما حقيقة تأويل المؤولة (أهل التحريف) لنصوص الكتاب والسنة؟.

ج: حقيقة الأمر: أن قول القائل منهم ـ أي أهل التحريف ـ: نحمله على كذا

وكذا، أو نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع (ردّ) دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه (المثبت للصفات) لما احتج عليه به (بالدليل) ولم يمكنه دفع وروده (ثبوته)، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

س ٢٦٣: بماذا يرد على أهل التحريف لو قالوا: إن النص لما ورد، ولا يمكن تعطيله، استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، على أن مجازه هو المراد؟.

ج: فإن قيل: إن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، ولا يمكن تعطيله، استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره (التأويل) على أن مجازه هو المراد، فحملنا عليه دلالةً لا ابتداءً.

قيل: فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم (الله ورسوله) أنه أراده، وهو إما صدق وإما كذب كما تقدم، ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره، ولا يبين للسامع المعنى الذي أراده، بل يقرن بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة. ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره، إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك (التأويل)، ولكنّ المنكرَ أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح، وإفهام مراده!. كيف والمتكلم (الله ورسوله) يؤكد كلامه بما ينفي المجاز، ويكرره غير مرة، ويضرب له الأمثال.

س ٢٦٤: ما معنى قول الطحاوي: " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه؟.

ج: أي: سَلّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو يقول: العقل يشهد بضد مادل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!.

س ٢٦٥: هل يكون تعارض بين العقل والنقل؟ وما العمل إذا جاء ما يوهم مثل ذلك؟.

ج: التعارض بين العقل والنقل لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل

ذلك، فإن كان النقل صحيحاً، فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر، لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة. فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقل صحيح أبداً.

س ٢٦٦: ما الحكم إذا تعارض العقل والنقل؟.

ج: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل، لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل، لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل، لزم ألا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً، لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

س ٢٦٧: ما الواجب على أهل العلم والعامة تجاه النصوص الشرعية؟.

ج: الواجب عليهم كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه أحد بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهةً أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المُرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

س ٢٦٨: ذكر المؤلف توحيدين لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، ما هما ولم ذكرهما؟.

ج: التوحيدان اللذان لا نجاة للعبد إلا بهما، هما:

١ - توحيد المرسِل.

٢ - توحيد متابعة الرسول.

فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له، نفّذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة، فوضه إليهم، وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ـ ما خلا الإشراك بالله ـ خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح، يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر قبوله والعمل به، حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبوله على موافقةِ فلان وفلان، كائناً من كان.

وذكرهما الإمام الشارح ليحاج بهما أهل البدع الذين يسلمون لأحدهما ولا يسلمون للآخر بل ينقصونه وبخاصة في باب العقائد.

س ٢٦٩: هات دليلاً واحداً من السنة في النهي عن الجدال في القرآن والنصوص الشرعية بلا علم وبغير دليل؟.

ج: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النَّعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حَجْرةً[1]، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: " مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على

(١) أي: في ناحية منفردين.

أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، وإنما يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه ".

س ٢٧٠: هات دليلين من القرآن في تحريم القول على الله بغير علم؟.

ج: لا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم.

١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من سائر كلام الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه، لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده لكن لم يعرف، هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه، فإنه يمسك عنه، ولا يتكلم إلا بعلم.

س ٢٧١: ما العلم النافع؟ وهل يجوز أخذ العلم من سائر الناس؟.

ج: العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم عن غير الرسول، لكن في الأمور الدنيوية، مثل الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه، العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير.

س ٢٧٢: ما معنى قول الإمام الطحاوي: " ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام "؟.

ج: هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شئ. أي: لايثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامع نافع.